مصطفى محمود

الشيطان يحكم

دار العودة - بيروت

الشيطان يحكم

مصطفى محمود

الشيطان يحكم

دار العودة - بيروت

١٩٨٦

كورنيش المزرعة ـ بناية ريفييرا سنتر
تلفون : ٣١٠٨٤٠ ـ ٣١٨١٦٥ ـ ٨١٥٣٣٥
تلكس AWDA 23682 LE
ص . ب ١٤٦٢٨٤

هل يسير العالم إلى دعارة

الهر يواخيم دريسن يهودي الماني ٣٦ سنة صاحب مجلـــة « سانكت باولي تسايتونج » في هامبورج انشأ حزبا سياسيا جديدا اسماه « حزب الجنس » وشعار هذا الحزب هو المطالبة بالحرية الجنسية للجميع •• وتدريس العملية الجنسية للاولاد والبنات عمليا وعلى الطبيعة من سن التاسعة واباحـــة الزواج المشاعي (وهو أن يتزوج جماعة من الرجال بجماعة من النساء ويتبادلون الزوجات فيما بينهم) •• واباحة زواج الرجل الشاذ بالرجل الشاذ وزواج المرأة الشاذة بالمرأة الشاذة •• والنظر الى الخيانة الزوجية على انها الامر العادي والطبيعـــي والمألوف •• ودستور الحزب يهدف الى جعـــل حبوب منـــع الحمل والاجهاض حقوقا مشروعة توضع في بطاقـــة التمويـــن وتوزع مع السكر والزيت والشاي وان تكون المخدرات المثيرة للذة شأنها شأن الخبز اليومي •• والحل السياسي

لازمة العالم في نظر الحزب هي « الحب بدل الحرب » .. فتزحف الشعوب بعضها على بعض ليلتقي رجــال شعب بنساء الآخر في مؤتمرات للذة بدلا مــن زحف الجيوش للحرب والقتل .

ومجلة الهر يواخيم دريسن تبيع مليون نسخة .

وهناك ثلاثة آلاف الماني والمانية يدفع كل واحد منهم عشرة ماركات اشتراكا شهريا ورسم ولاء وانضمام لهذا الحزب .

وسكرتيرة الهر يواخيم فتاة جميلة تجلس في المكتب عارية وتستقبل الزوار عارية على الدوام .

ومنذ أيام حينما أقيمت على المجلة قضية دعارة .. ذهب الهر يواخيم الى المحكمة محمولا على أكتاف ست فتيات عاريات الصدور .

واذا تركنا الهر يواخيم وذهبنا الــى مهرجان كان السينمائي الاخير فاننا سوف نجد الاخبار التــي خرجت من المهرجان تقول ان هناك موجة من الافــلام الجنسية الاباحية تغرق كل شيء .

في احد الافلام التي عرضت خارج المسابقة يرقص الممثلون عراة ويقومون بحركات جنسية خليعة ثــم نرى البطلة ترقد عارية في مغارة وامامها على مكان يشبه المذبح

يقتل خنزير وننتزع احشاؤه لتلقى على جسدها ثم نرى الممثلين يتجمعون حول المذبح ويبولون .

وفي فيلم آخر نرى امرأة تصعد الى المترو لتأخذ مكانها في مواجهة رجل .. ثم نراها تحدق في الرجل وتسرح بخيالها فتتصور نفسها في احضانه وتمر ربع ساعة نرى خيالها يصور لها نفسها عارية في جميع الاوضاع الممكنة .. ثم يقف المترو في محطة فتنزل المرأة ويتبعها الرجل وقد لاحظ انها كانت طول الوقت تحدق فيه .. يغازلها .. تنظر اليه بقسوة .. ثم نفاجأ بأنها تقف وتشكوه لرجل البوليس فيقبض عليه .

ثم عشرات الافلام تصور اللواط والسحاق .. وتعرض قصص نساء يمارسن الجنس مع حيوانات .

وفي فيلم « الغاز الجسد » نجد عملاق السينما اليوغوسلافية « ماكافيجيف » يعرض لنا فيلما سياسيا يقول فيه ان الكبت الجنسي هو المسئول عن الفاشية والنازية وعن القهر السياسي والعنف وعن الشخصيات السادية امثال هتلر .. وان حياة بلا ممنوعات هي الحل الوحيد لتحقيق السلام .

وبرغم هذه الموجة التجارية من التسول الجنسي .. فقد لوحظ ان مبيعات هذا اللون من الافلام الاباحية قد

انخفض بمقدار ٤٥٪ عما سجله الانتاج نفسه في العـام السابق •

واتجاه السينما الى العري والجنس ظاهرة ملحوظة ومطردة منذ سنوات •

والمنتجون يتحايلون في اخفاء هذا الطابع الجنسي داخل غلالة من الافكار والقيـم •• فنجد فيلما مثـل « هيروشيما حبيبي » يدعو الى السلام ويهاجم الحرب • وكل الفيلم يدور على شكل حوار بين امرأة عارية ورجل عار في الفراش •

والمتفرج له الحق ان يسأل •

أما كان يمكن ان ندعو الى السلام ونهاجم الحروب والقنابل الذرية كما نشاء دون ان تكون وسيلتنا الى ذلك عملية جنسية بين رجل وامرأة في الفراش ؟

ألا توجد وسيلة للسلام غير الدعارة ؟

أم ان اغراق العالم في الدعارة والانحـلال هو امر مقصود •• وان شركات الانتاج (وأغلبها في قبضة اليهود) قد عقدت فيما بينها حلفا سريا بالعمل على افساد الشباب وهدمه وتضليله وانها اخذت على عاتقها تنفيذ هذا البند المعروف في بروتوكولات آل صهيـون بافساد العـالم بالمخدرات والجنس والجريمة والمال تمهيدا للاستيلاء عليه•

ان الامر خطير ويستحق منا وقفة تأمل .. فليس طبيعيا ان تدور كل الافلام حول الجنس والجريمة والدولار والمخدرات والهيبيز .. فمعنى محاصرة شبابنا بهذا النوع من المؤثرات على الدوام .. أن يقعوا هم في النهاية في شرك هذه المؤثرات .

واتفاق جميع الافلام على الضرب على هذه الاوتار ليس مصادفة وانما هي علامة على تيار مقصود .

واذا كانت مبيعات هذا اللون من الافلام قد انخفضت داخل اوروبا بمقدار ٤٥٪ عن السنة الماضية فان معنى هذا ان هناك وعيا مضادا لهذا التيار . وان هناك حالة انتباه وغثيان ونفور من هذا اللون حتى داخل اوروبا نفسها وحتى من الشاري الذي يحكمه سوق العرض والطلب . فلا اقل من ان ينمو عندنا ايضا هذا الوعي وان نتنبه لهذه السموم الوافدة علينا .. ونحن اكثر استهدافا لهذه السموم من غيرنا .

ومقص الرقابة لا يكفي .

انما علينا ان نحول دون دخول هذه الالوان من الافلام أصلا مهما حملت من مسوغات ظاهرية ومهما لفت بضاعتها السامة في سيلوفان من القيم البراقة والمثاليات الكاذبة .

اما الزعم الذي يدعيه السينمائي اليوغوسلافي « ماكافيجيف » بانه لن يكون هناك سلام في العالم الا عن طريق الاباحية الجنسية فنرد عليه بان الحيوانات تتصارع بالمخلب والناب مع انها تعيش في اباحية جنسية مطلقة .. ولو انها كانت تمتلك وسائل الحرب الحديثة لاستخدمتها بدلا من المخلب والناب .

والسلام لا يصل اليه الا انسان استطاع ان يتحكم في نفسه ويخضع نزواته .. هذا الانسان هو وحده القادر على ان يتنازل لغيره طوعا واختيارا وان يعطي ويمنح ويجود من ذات نفسه طوعا واختيارا ويحقق السلام بمعناه الايجابي .. السلام بمعنى المحبة والعطاء .

اما انسان لا يستطيع ان يقاوم نزوة ولا يستطيع ان يكبح رغبة جنسية عارضة ويطلب منا اولا بأول ان نقضي له نزواته .. هذا الانسان هو الذي يسرق ويقتل .. فما حوافز السرقة والقتل الا نزوات مثلها مثل نزوة الجنس، وتراث القيم والاخلاق لم يقم عبثا .

انه تراكم خبرات وتجارب عبر التاريخ .

والذي دعانا الى ضبط شهواتنا .. ليس القسيس ولا الواعظ وانما تراكم الخبرات والتجارب عبر الوف السنين .. ملايين الاخطاء والمحن التي مرت بها الانسانية

واستولدت منها الحكمة والعبرة والضمير واقامت صرح الحضارة ٠

وليس الدين وحده هو الذي يدعونا الى الاخلاق وضبط النفس والتحكم في الشهوات ٠٠ وانما حضارتنا وأعرافنا وتراثنا ٠٠ ثم خبرة حياتنا الخاصة ومعاناتنا الذاتية وتجاربنا واقتناعنا الشخصي ٠

كل هذا الكسب الذي كسبناه بالعرق والدم لا يصح ان نتركه لفنان ساذج مثل ماكافيجيف ليمحوه لنا ٠

وعلينا ان نفتح العيون والعقول جيدا ٠

فما اكثر الذين يريدون قتلنا باسم الفكر والفكر ٠

وما اكثر ما نصفق لأفلام هي الدعارة بعينها ٠

وليس كل ما نقرأ من كتب ونرى من افلام هي محاولات بريئة لتسليتنا ٠

وهناك وراء الكواليس عشرات من امثال الهر يواخيم دريسن ٠٠ والبروفيسور ماكافيجيف ٠

الشيء التافه

ما يجري في الكون من احداث مرتبط ببعضه في سياق دقيق من الاسباب والمسببات كحلقات سلسلة ، لا يهم ان كان بعض هذه الحلقات صغيرا وبعضها كبيرا ، فلا فرق بين انكسار حلقة صغيرة او انكسار حلقة كبيرة ، فالنتيجة واحدة في الحالين هي تحطم السلسلة وانفراط عقدها .

نحن نقول عن واحد انه اتفه من ذبابة .

هل فكرت ماذا يمكن ان تصنع ذبابة ؟!!

ان ذبابة واحدة تافهة يمكن ان تحمل على أرجلها الدفتيريا والسل والدوسنتاريا وشلل الاطفال والكوليرا ، ويمكنها ان تبيد امة وتفني جيلا وتقلب دفة النصر في معركة .. تفعل كل هذا وهي ذبابة .

ان ميكروبا لا يرى بالعين قتل في سنة ١٩١٩ اكثر من عشرين مليون ضحية .

وراهب منقطع في دير تمر به ونقـول ما اتفه هذا الرجل .. مادا يفعل في هـذه الدنيا .. لمادا لا يخلـع ملابس الرهبنه وينزل الى خضم الحياة ويعمل ويؤثر في الاحداث .. مثل هذا الراهب ليس نافها فهو يمكـن ان يكون مندل الذي اكتشف قوانـين الورانة وهو يلمـح ازهار حديقته ويتأمل في نسلها .

وهذا الكيميائي الذي يترك كل سيء ويكتب بحثا في العفن لا سهمه بالجنون لانه لم يبحث لك كما تريـد في مبيدات قواقـع البلهارسيا او دودة القطن .. فالعفن ليس تسيئا نافها .. الم يخرج لنا البنسلين ..؟!

وما اتفه الذرة .. اليس كذلك .

انها لا ىرى باكبر ميكروسكوب .

وهي ليست سوى فرض من فروض الكيمياء .

ومع ذلك فان تلك الذرة المفترضه هي التـي انهت الحرب العالميه الثانية وجعلت اليابان بركع على قدميها .

وهي التي سوف تقود أول سفينة الى المريخ ..

والملازم ديغول فعل ما لم يستطع ان يفعله الماريشال بيتان ..

وام بيتهوفن لا احد يعرفهـا وهي في عصرها كانت امرأة من ملايين لا تقدم ولا تؤخر .

ولكن الم تنجب لنا هذه الام بيتهوفن ولولاها لما جاء الى الوجود ..

انها سلسلة من الحلقات كما قلت ..

سلسلة مترابطة .. لا يهم ابدا ان يكون بعض هذه الحلقات صغيرا وبعضها كبيرا .. فبدون أي من نلك الحلقات لا يكون للسلسلة وجود ..

لا يوجد شيء تافه وشيء عظيم ..

والذي يقول لك انت تافه لانك لم تفعل في نظره شيئا ذا بال .. انما يدل بكلامه على جهله .. فمن يدري ماذا تفعل غدا .. ومن يدري ماذا يترتب على مجرد وقوفك بدون فعل .. ان عدم الفعل يكون في دورة الاحداث اثره مثل الفعل .. والسكوت يكون احيانا اخطر من الكلام .

الحضارة المادية عظيمة .. الم تصنع لنا القطار والطيارة والسيارة والراديو والتلفون والتلفزيون والمدفع والقنبلة .

والحضارة الروحية تخاريف .. هكذا يقول البعض .. فما هو دور يوجا منقطع للتأمل في كهف من كهوف التيبت .

ولكن من يدري ؟

لو كنت حكيما لقلت من يدري .. فقد تحطم هذه الحضارة المادية نفسها بنفسها وقد ترسل العالم بقنبلة من قنابلها الى قاع المحيط فتصبح هي ذاتها خرافة مثل خرافة « الاتلانتيس » القارة التي غرقت بمن عليها في قاع المحيط ... ولا يبقى للدنيا الا سلالة ذلك اليوجا تبدأ من عنده العلوم والمعارف والمدنية من جديد .

الم تبدأ بشائر هذه المهزلة بالفعل .. فها هي امريكا تدمر الآخرين وتدمر نفسها ...

ساذج العقل من يقول لك انت تافه .. فلكل شيء في هذه الدنيا خطره مهما كان صغيرا ضئيلا .. ولقد تغير انت الدنيا .. وقد تفتح عينيك غدا فتكتشف شيئا .. وقد تكون وانت الجندي اليوم قائد المعركة غدا .

لا تستخف بذبابة تقف على طعامك .. فهؤلاء الرجال كالثيران يدوخون العالم وقد تصرعهم ذبابة .

والاسكندر المقدوني قتلته بعوضة .

انها ليست نكتة ولكنه التاريخ فالاسكندر الذي خرج من مقدونيا فاتحا وهب على العالم القديم كالاعصار لم يعد ابدا الى بلاده فقد مات بالملاريا اثناء عودته من الهند بلذعة بعوضة .. ولا احد يدري اين دفن .

وقد تعبث بقدمك تحت شجرة غدا فتكتشف قبر

الاسكندر وتصبح اغنى رجل واشهر رجل في الدنيا وتصبح حديث الصحف لعدة سنوات .

فقط لا تقل على احد انه تافه .. احترم كـل شيء مهما صغر شأنه .. الطفل .. والحشرة .. وزبال الطريق وجرسون المقهى .. وبهلوان السيرك .. ومن لا حيلة له ولا صولجان في يده .. فالله وحده يعلم من في الغـد يكون في يده الصولجان .. اذا فعلت هذا فانك سوف تخطو اول خطوة لتكون رجلا حكيما .

الجنون العام

ليس هناك اغرب من عادة شرب الدخان •

ان يصرف رجل عاقل نقوده في احراق بعض المخلفات واستنشاق دخانها اللاسع الخانق الكريه •

يدخن ويسعل ويبصق •• ثم يعود فيبتلع الدخان ويسعل ويبصق •• ويقـول بصوت اجش مشروخ انـه يشكو من برد مزمن وانه لهذا السبب قد استبدل الدخان الانجليزي بالدخان التركي •

ثم ينفث حلقـات الدخان وهو يحملـق في الفراغ وفمه مفتوح وقد وضع ساقا على ساق وسبح بخياله في حالة انعدام وزن يفكر في لا شيء •

مشهد كاريكاتوري من مسرح لا معقول •

قصة بلهاء من خمس دقائق تبدأ بشطة عود كبريت ثم حركات استعراضية مـن رجل عجيب يأخـذ اوضاعا

بهلوانية فـي كرسيه ويسترخي ويسرح ويشفط وينفخ ويسعل ويبصق .

ونفهم من القصة انه يدفع مـن قوته وقوت عياله في سبيل هذا الدخان .

ثم يعود فيدفـع مرة اخرى ليعالج نفسه من هـذا السعال والدخان .

ثم يعود فيدفع مرة ثالثة لينظف اسنانه من أوساخ هذا الدخان .

ثم يروي لنا انه قرأ في المجلة خبرا عن تسبب التدخين في السرطان وفي نفس الصفحة قرأ اعلانات عـن فوائد التدخين .

فاذا سألته وماذا ستفعل ؟

قال لك سأستبدل لفافة التبغ بالسيجار او السيجار بالشيشة او الشيشة بالجوزة .

وتراه يصوم عن الاكل ولا يستطيع ان يصوم عـن السيجارة .

وتراه يستمر في هـذا الانتحار الصغير كل يـوم فيلقي بنقوده وصحته في البحر ويقف يتفرج على الاثنين يغرقان وهو يسعل ويبصق ويلهث .

رجل مخبول تماما .

ولكن هذا المخبول هو كل الناس .

كل الناس ينتحرون لسبب غير مفهوم .

العملة الصعبة التي تنفق في استيراد التبغ والسيجار والمعسل في العالم كافية لحـل مشاكل المجاعـة والفقر والجهل والمرض .

والانسان المجنون ابتكر وسائل انتحار اخرى .. غـير التبـغ .. مثـل الافيـون والحشيش والكوكايين والهيروين وعقار L. S. D. والخمور بأنواعها .

ولم يكتف بهذا فاخترع اسلحة القتل السريع الاكيد مثل الرصاصة والقنبلة والغاز السام .

ثم عاد فابتكر الاعذار والمبررات الجاهزة للقتل .. مثل الصراع الطبقي .. وتغيير التاريخ .. وانقاذ الحرية.

والحرية ذاتها كانت دائما هي المخدر الاكبر ..

المدخن يقول لك .. انا ادخن لاني حر ..

ومدمن المخدرات .. يقول لك انا حر ..

والذي يطلق اول رصاصة يطلقها ليكون حرا ..

ودائما الحرية هي اول ما تجهز عليه هذه الاسلحة..

ودائما الحرية هي الضحية ..

والانسان القاتل والمقتول هما الضحية ..

والجنون العام هو الحقيقة ..

وهو طابع هذا الانسان العاقل اللامعقول اللغز .

افيون هذا الزمان

تتبـارى اجهـزة التليفزيـون والاذاعـة والسينما وصفحات المجلات والجرائد على شيء واحد خطـير هو سرقة الانسان من نفسه ٠٠ شد عينيـه وأدنيه وأعصابه وأحشائه ليجلس متسمرا كالمشدوه امـام التليفزيون أو الراديو او السينما وقد تخدرت اعصابه تماما كأنـه أخذ بنج كلي وراح يسبح بعينيه مع المسلسله ويكد ذهنـه متسائلا من القاتل ومن الهارب ٠٠ وبين قاهر الجواسيس وريتشارد كامبل والافيشات العارية في المجلات والعناوين الصارخة في الجرائد ينتهي اليوم والليلة ويعود الواحد الى فراشه وهو في حالة خواء وفراغ وتوتر داخلي مجهول السبب وحزن دفين كأنه لم يعش ابدا ذلك اليوم ٠

والحقيقة انه لم يعش بالفعل وان حق الحياة سلب منه وانه سلب من نفسه واخرج عنوة وألقي به في مغامرات عجيبة مضحكة وتساؤلات لا تهمه على الاطلاق ٠٠ مـن

الذي قتل شهيرة هانم ولماذا تخون كلوديا كاردينالي زوجها في رواية .. « الذئب في فراشي » .. واين الكنز في مسلسلة عبيد الذهب .. واين الحقيقة في رواية ارحمني يا حبيبي .

ويمر اليوم تلو اليوم .. وتظل هذه الاجهزة تقوم بما يشبه العادة السرية للمتمرجين وتغرقهم في نشوات مفتعلة الى درجة التعب ثم تلقي بهم الى الفراش آخر الليل منهوكي الاحاسيس لا يدري الواحد منهم ماذا به بالضبط .. لماذا يشعر بانه مجوف تماما .. وانه لا يعيش ابدا .. وانه لا يقول ما يريد ان يقوله ولا يسمع ما يريد ان يسمعه .. وانما هو يربط في ارجوحة تظل تدور به دورانا محموما حتى يغمى عليه تماما وينسى ما كان يفكر فيه وما كان يريد ان يقوله وما كان يريد ان يسمعه وما كان يملأ منه القلب والعقل .. ويتحول الى حيوان اعجم مربوط العقل والاحساس الى هذه الاجهزة الغريبة التي تفتعل له حياة كلها كذب في كذب .

وهذه الظاهرة ظاهرة عالمية .. بل هي من سمات هذا العصر المادي الميكانيكي الذي تحولت فيه اجهزة الاعلام الى أدوات للقتل الجماعي ..

وهو نوع من القتل الجميل الرائع .. تخنق فيه العقول بحبال من حرير وتخنق الخيالات بالعطور

الفواحة .. وتخاط فيه الشفاه بجدائل من شعر بريجيت باردو وأرسولا اندرس .

وكلما زادت مقاومة المتفرج لهذا الافيون كلما زاد المخرجون من المساحة العارية المسموح بها من صدر الممثلة ومن ساقيها وكلما سكبوا كمية من الدم اكثر في رواياتهم وكمية من البترول المشتعل اكثر على اعصاب الناس .

وحينما تنفجر الاعصاب في ظواهر متشابهة مثل ظاهرة الخنافس والهبز ورقصات الجرك المجنونة وأدب الساخطين والغاضبين واللاعنين فهي دائما نتائج ذلك البخار المضغوط في جماهير الشباب التي قضي عليها بان تعيش أسيرة عنكبوت الاعلام والاخطبوط ذي الالف اسم .. الاذاعة والسينما والجرائد .. ذلك السجن ذي القضبان الجميلة من الاذرع العارية في المجلات والروايات لتعيش معزولة عن معركة المصير وعن الادلاء برأي في مأساة الحياة والموت التي تجري على مسرح العالم كل يوم .

وحينما يدور الكلام عن مخدر الـ ل. س. د. والماريجوانا والحشيش والهيروين والكوكايين .. والعصابات التي تروجه .. فانهم ينسون دائما مخدرات اكثر انتشارا وأخطر أثرا .

مخدرات تدخل كل بيت من تحت عقب الباب وتقتحم على كل واحد غرفة نومه وتزاحم افطار الصباح الى معدته

وفنجان الشاي الى شفتيه .. تلك هي وسائل الاعـلام التي تكاتفت فيما بينها وكأنما بتعاقد غير مكتوب على أن تقتل الناس بقتل وقتهم وتميتهم بالضحك والاثارة والنكتة البذيئة وتلك الكلمة الغامضة اللذيذة التي اسمها التسلية.

وتحت شعار قتل الوقت يقتـل الانسان ويراق دم اللحظات ويسفك العمر .. فما العمر في النهاية الا وقت محدود .. وما الانسان الا فسحة زمنية عابرة اذا قتلت لم يبق من الانسان اي شيء .

وانها مسئولية كل مفكر وكاتب ان يخرج على الخط ويتمرد على هذا الاتفاق غير المكتوب .. بقتل الوقت .. في محاولة شريفة لاحياء وقت الناس بتثقيفهم وتعليمهـم والبحث عن الحق لا عن التسلية واشراك الناس في مأساة مصيرهم واعادة كل واحد الى نفسه وقد ازداد ثراء ووعيا لا سلبه من نفسه وسرقته من حياته .. ورفـع شعارات الحرية لتفصح الروح الانسانية عن مكنونها .

على وسائل الاعلام ان تتحول من افيون الى منبـه يفتح العيون والاحاسيس على الحقيقة ويدعو كل قارىء الى وليمة الرأي ويدعو كل عقل معطل الى مائدة الفكـر فتكون كرحلة تحشد الحماس عند كل محطة تقف عندها لا كخيمة للغاز المسيل للدموع مضروبة على الناس او قنابل دخان تطلق للتعمية .

ان حضارة الانسان وتاريخه ومستقبله رهن كلمة صدق وصحيفة صدق وشعار صدق .. فبالحـق نعيش وليس بالخبز وحده ابدا .

واذا كان السؤال المطروح الان .

ما هي صحافة المعركة ؟ .

وكيف تساهم صحافتنا في المعركة ؟

فهأنذا اقول لكم الجواب ..

ان نقول الحق .

وان نقول الجد .

وان نقول المفيد والنافع والصحيح .

وان نحيي وقت القارىء لا ان نقتل وقته .

الوقوع في الفخ

كل فتاة تحب ان يقال انها حلوة وساحرة وفاتنة وملكة جمال والسؤال هو :

ما الجمال ؟!!

هل الجمال هو البودرة والاحمر والكريم والروج والكحل ؟

هل هو لون الشعر ... وطول الشعر ... وشكل التسريحة ... ومقاس الصدر ... ومحيط الوسط ... وخرطة الرجلين .. واستدارة الردفين ؟

هل الجمال فستان وباروكة وبوستيش وشنطة وجزمة ونظارة ؟

المرأة يخيل لها ذلك ..

كل تفكير المرأة في شكلها ... في مقاساتها الخارجية ... في اللون والنقشة التي ترسمها حول العين والحاجب والشفة .

يخيل لها ان الجمال يمكن رسمه على الوجه ويمكن تفصيله بالتحزيق والتقميط والمكواه والمشط •

وتنسى ان كل هذا طلاء ودهان ••• وانـه سوف يذوب ساعة ان تضع رأسها تحـت الحنفية •• وسـوف تحول الى وجه بلياتشو بعد اول موجة من العرق •••• وانها بعد مشوار في الحر سوف تتحول الى امرأة اخرى• لان كل ما صنعته كان ديكورا من الخارج ••• كل ما فعلته كان سلسلة متقنة من الاكاذيب ••• وعملية رائعـة من التلفيق اشترك فيها العطار والصيدلي والخردواتي •

وهو تلفيق لا يمكن ان يكتب له الدوام ••

حتى الجسم ومقاساته كذبة كبـيرة اخرى سرعان ما تفتضح من اول حمل فيتحول الغزال الى حصان بلدية ، وخصر المها الى خصر سيد قشطة •

والوجه الجميل والتقاطيع الدقيقة الحلوة هي نـوع من الجمال يفقد تأثيره مع التعود والمعاشرة •

التعود يفقد الشكل طرافته وجدته وحلاوته •

وهذا حكم الجمال الخارجي ••• مصيره دائما الى الزوال وفقدان الاثر •• الجمال الخارجي مجرد مصيدة وجر رجل ••• منحة سخية من الطبيعة للمرأة لتصطاد بها رجلا ••• نوع من خداع البصر •••

فادا تم المراد ووقع الصيد السمين في الفخ وعقد العقد ووقع المأدون وانتقلت العروسة المزخرفة المزوقة الى العش الموعود ومضى شهر وشهران .. بدأ الدبكور يقع وبدأ الطلاء يسقط والدهان يتشقق وبدأت تظهر النفس التي وراء الزواق والطلاء .

:

ساعتها يبدو الجمال الحقيقي ادا كان هناك جمال حقيقي .

والجمال الحقيقي هو جمال الشخصية ... وحلاوة السجايا ... وطهارة الروح .

النفس الفياضة بالرحمة والمودة والحنان والامومه.. هي النفس الجميله .

النفس العفيفة والعفة درجات ... عفة اللسان وعفة اليد وعفة القلب وعفة الخيال ... وكلها درجات جمال .

والخلق الطيب الحميد .

والطبع الصبور الحليم المتسامح .

والفطرة الصريحة البسيطة .

والروح الشفيفة الحساسة .

كل هذه ملامح الجمال الحقيقي .

اي قيمة لوجه جميل وطبع قاس خوان مراوغ خبيث.

واي قيمة لمقاسات الوسط والصدر ... والقلب مشحون بالطمع والدناءة .

واي قيمة للشفاه المرجان واللسان يقطر بالسم والقطران .

واي قيمة للساق الجميلة خرط المخرطة التي تمتد لك بشلوت والذراع الفاتنة التي تمتد لك بقبقاب .

واي قيمة لباروكة لا يوجد تحتها عقل .

واي قيمة لنهد نافر خصصته صاحبته لارضاع العشاق لا ارضاع الاطفال وارداف تتزين للنزوات وفم فاتن لا ينطق الا الكذب .

اذا اردت ان تحكم على جمال امرأة لا تنظر اليها بعينيك وانما انظر اليها بعقلك لترى ماذا يختفي وراء الديكور .

وحذار ان تنظر اليها بعاطفتك او غريزتك والا فانك سوف تفقد عقلك من اول نظرة ثم يخيل اليك انك امام فينوس الخارجة من زبد البحر .

وفي ضباب الحواس وصخب الاثارة تستحيل الرؤية وتتحول حدائق الحيوان الى جنات مغرمين وملامح القردة الى تقاطيع الملائكة .

المرأة كتاب عليك ان تقرأه بعقلك اولا وتتصفحه دون نظر الى غلافه .. قبل ان تحكم على مضمونه .

ذوق الناقد وليس ذوق العاشق هو الذي سوف يدلك .

ولذلك تحرص المرأة بذكائها علـــى ان تحولك الى عاشق اولا حتى تفقد عقلك فلا ترى الحقيقة .

وأغلب الرجال لا يرون الحقيقة الا بعد فوات الاوان.

والذين يرون الحقيقة يتحولون الى فلاسفة فيعشقون الحقيقة لذاتها وينسون المرأة ... ويؤلفون الكتب فـــي دراسة الجمال وفلسفة الجمال وينسون حكاية المرأة الجميلة.

وحتى هذا الفيلسوف لا تعدم المرأة وسيلة للضحك عليه فتقابله كل يوم وتحت ابطها كتاب .

لقد وضعت الروج المناسب للرجل المناسب .

احبوا أنفسكم

ان من يقتل اخاه لا يكره اخاه ، وانما يكره نفسه .. فاليد لا ترتفع لتقتل الا اذا كانت النفس من الداخل يعتصرها التوتر .

القاتل لا يعلن الحرب على الاخرين الا اذا كانت الحرب قد اعلنت داخل نفسه واشتد اوارها وثار غبارها فأعمى العيون والابصار .

المجرم هو دائما انسان ينزف من الداخل .

اما من يعيش في سلام مع نفسه فهو يعيش دائما في سلام مع الاخرين .. انه لا يستطيع ان يكره .. ولا يخطر بذهنه ان يرفع سلاحا في وجه احد .. انه قد يطلق ضحكة او يترنم بأغنية ، ولكنه ابدا لا يفكر في ان يطلق رصاصة.

وانما تولد الكراهية للاخرين حينما تولد الكراهية للنفس .

خصومتنا لانفسنا هي القنبلة التي تنفجر حولنا في كل مكان .

منذ اللحظة التي نختصم فيها مع نفوسنا لا نعود نرى حولنا الا القبح والدمامة ومبررات القتل والثأر ، ونحن في الحقيقة نحاول ان نثأر لانفسنا من انفسنا ...

وانما تبدأ الهدنة بين كل منا والحياة حينما يرتضي نفسه ويقبلها ويقبل قدره ومصيره ويبني بذلك الجسور السليمة التي يعبر عليها الى جمال الحياة حوله ويراه .. وطيبة الناس حوله ويحس بها .

انه يشعر ان الزهر يبتسم لانه يرى ابتسامته الداخلية منعكسة عليه .. ويقول ان الدنيا حلوة والحقيقة ان نفسه هي الحلوة لانه لا يرى الدنيا ، وانما يرى صورة نفسه كما تعكسها له الدنيا .

اما الانسان الحقود فهو انسان معتقل من الداخل ، سجين قفصه الصدري لا يستطيع ان يمد يديه الى احد لان يديه مغلولتان وشرايينه مسدودة وقلبه يطفح بالغل .

كيف يمارس الحب بحرية واختيار وهو ذاته معتقل!

كيف يدرك جمال الكون وانسجامه وهو ذاته منقسم يفتقر الى الوحدة الداخلية والانسجام ؟

وانما تبدأ المحبة بتلك الحالة من السكينة الداخلية التي يبلغها الانسان وكأنه فتح عينيه على ثراء داخلي لا حد له •• تلك الحالة التي يتلقى فيها ذلك الضمان الغامض •• ذلك الصك بانه مؤمن عليه ضد المرض والشيخوخة والافلاس والحرائق والفقر والحوادث •• تلك الحالة التي يزول فيها الخوف تماما وكأنما برقت البروق لحظة فاذا به يرى سفينته التي تتقاذفها البحار الهوج موثوقة الى الاعماق برباط خفي لا انفصام له •• وكأنما كانت طول الوقت تلقي بمراسيها في بر الامان وان دل ظاهرها المرتجف المتقلب على غير ذلك •

ذلك اليقين العميق الذي يأتي من مكان ما في النفس ليغمر روح الانسان بذلك الايمان الثابت بانه هنا •• وانه كان هنا •• وانه سيكون هنا •• طول الزمان •• وانه لم يولد ولن يموت •• وانه شاخص حاضر ابدا كلحظة الحضور الابدي ذاتها •

تلك اللحظة التي ينتفي فيها الخوف ويزول الاغتراب •• والتي يعود فيها ذلك المنفي ابدا •• الى وطنه ودياره •• ويتعرف ذلك المغترب على ذاته ويبتهج بها اذ يراها خالدة حقيقية لا يمسها الضر ولا ينالها الاذى ••

تلك اللحظة التي يفرق فيها بين أعراض الجسد الزائلة وبين ذلك الرسوخ والامان والسكينة الدائمة التي تسبح

فيها النفس والتي تكمن فيها في لواذ دائم بتلك الاعماق الهادئة مشرقة على الوجه بالابتسام في احلك الاوقات .

تلك الهدنة التي تنعقد بين الانسان ونفسه هي النبع الذي تتدفق منه المحبة لتحتضن الآخرين وتعانق الحياة .

لقد كانوا في الماضي يبشرونكم بان تحبوا الغير ، ولكن اقول لكم احبوا نفوسكم .. احبوا ذواتكم بحق .. فبدون هذه المحبة لا يكون حب الآخرين ممكنا .

كيف تستطيع ان تصادق الآخرين وانت عاجز عن مصادقة نفسك !

نحن نظن اننا نحب انفسنا .. ودليلنا على ذلك اننا نسقي انفسنا الخمر كل يوم ونوفر لها المتعة .. وحقيقة ما نفعل يدل على الكراهية لا على الحب ، فنحن نقتل انفسنا بالخمر والتدخين والمخدرات والافراط ولا نطيق دقائق قليلة من الوحدة مع نفوسنا فنستعين عليها بالمغيبات .. هاربين من هذا اللقاء ..

نحن اعداء نفوسنا .. وهذه هي الحقيقة المؤلمة ..

وما اصعب ان نكون اصدقاء لنفوسنا ..

الانبياء وحدهم هم الذين استطاعوا ان يكونوا على وفاق ومحبة مع نفوسهم فاستطاعوا ان يعطونا ويعطوا الدنيا الكثير .

واللقاء مع النفس شاق .. وتمام الوفاق مع النفس اشق واصعب .. وذلك الانسجام الداخلي ذروة قل من يبلغها .

ولكن الامر يستحق المحاولة .

٤١٨ نعشا

في احدى المدن الامريكية تحرك موكب مـن ٤١٨ نعشا ••

المرافقون للجنازة كانوا يلبسون الكمامات •

وعلى طول الطريـق اعلنت حالـة الطوارىء فـي المستشفيات ووزعت الاقنعة والعقاقير المضادة •

ومرت هذه الجنازة الغريبة في طريقها لتلقي بحمولتها من النعوش في مقبرتها في قاع المحيط علـى عمق الف وخمسمائة قدم •

وكان المشيعون يرتجفون رعبا لا حزنا •• فقد كانت تلك النعوش الرهيبة هيَ صناديق من الصلب تحوي اطنانا من غاز الموت •• كل نعش به ثلاثون صاروخا معبأة بغاز الاعصاب القاتل •• اي اكثر مـن ١٥ الف صاروخ في مجموعها •• اذا تسرب من احدها الغاز فانه يقتل من يشمه في دقائق •

وقد قررت امريكا التخلص من هذه الغازات ليس حبا في السلام ولا زهدا في القتل •• ولكن لانها اخترعت وسائل ميكروبية وكيمائية اشد فتكا من هذا الغاز الروبابيكيا ••• واستحدثت موضات اسرع في الاجهاز على ضحاياها من هذا الغاز الموضة القديمة •

لقد بلغت سرعة تطور العلم والاسلحة الفتاكة لدرجة اصبحت المشكلة •• هي كيف السبيل الى التخلص من الاسلحة القديمة ومن وسائل الموت المتخلفة •

ان اختراع المدفع الرشاش كان ايذانا بنهاية عصر بندقية الخفراء •• وقنبلة الهاون طردت قنبلة مولوتوف من السوق •• والقنبلة الذرية جعلت الحرب التقليدية مثل حرب الهراوات •

وغاز الاعصاب جعل غاز الخردل موضة قديمة •

واليوم غاز الاعصاب اصبح روبابيكيا •

وظهرت موضة حرب « الطولاريميا » وهو توكسين ميكروبي يوضع في الانهار فتموت مدن على بكرة ابيها •

وقنبلة هيدروجينية مدارية توضع في قمر صناعي يدور في فلك حول الارض ثم توجه للسقوط بازرار من قواعد الكترونية على الارض فيقع الموت على قارات فيغرقها •

وفي الطريق قنبلة الكوبالت ..
وقنبلة النيوترون ..
وقنبلة النيوترون هذه يمكنها ان تشق الارض نصفين مثل البرتقالة او تنثرها اجزاء .. فتتحول الارض الى سحابة من الحصى تسبح في الفضاء .

والدول الكبرى تتسابق الان في التخلص من ترساناتها من الاسلحة القديمة بالقائها في حرب فيتنام وكوريا ونيجيريا وبيعها للدول المتخلفة .. وآخر خبر ان تشيعها في جنازة رسمية وتلقي بها في البحر .. فليس من حسن السمعة ان تحتفظ الدولة الكبرى في ترساناتها بسلاح ضعيف .. وامثال تلك الاسلحة الرحيمة التي لا تقتل الا الوفا يجب ان تدفن في مقبرة تليق بها .

هي اذن جنازة لتشييع الرحمة والرفق والرقة لتدفن وتغيب عن سمع العصر الجديد وبصره .. عصر الموت الشامل والقتل الصاعق بضغطة على زر بدون حاجة الى مواجهة او شجاعة ... فالشجاعة والفروسية هي ايضا موضة قديمة يجب ان تدفن .. ونحن اليوم في عصر القتل بنذالة .. وترك المواجهة ليتولاها ميكروب في الظلام او سم قاتل يتسلل في خفاء الى العروق او غاز بلا رائحة يتلصص الى الصدور بينما اصحاب هذه الصدور يتنفسون غافلين في أمان .

انها حرب الست ثواني ·

وقتال المكيدة ·· والطعن فـي الظهر ·· والشراك الالكتروني الغادر · لن يستطيع الجندي الغالب في حرب المستقبل ان يقول ·· انا بطل ·· ولا الجندي المغلوب ان يقول ·· انا شهيد ·· لان البطولة سوف تتوارى ليحل محلها المكر واللؤم ··

سوف تنتصر الميكروبات وتكسب لنا الحروب ·

سوف تكون ماريشالات المستقبل ·

يا له من تقدم ؟!!

أخيرا ·· عرف الانسان مكانه ·· خلف الميكروب·· ووراء الفيروس ·· وتحت قيادة الجراثيم ·

طالع الشجرة في لندن

وهي غير الشجرة التي طلعها توفيق الحكيم •

انها مسرحية تعرض على مسرح « كوين » في لندن، امتدادا لعرض مستمر ناجح منذ شهور •

بريجادير انجليزي عائد من الملايو بعد خدمة عشرين عاما في جيش الامبراطورية وعلى وجهه كل كبرياء الضابط الانجليزي حارس الامجاد التليدة •• وهو يدخل الشقة التي مر عليه عشرون عاما دون ان يراها ليفاجأ بان اولاده خنافس وهيبز وقد اطالوا شعورهم ووضعوا فيها الريش ورسموا على خدودهم نجوما واقمارا ••• وبنته تدخل حاملا في شهرها الاخير •• فيحتضنها الاب ويقول لها : « مبروك ! متى تزوجت ؟ » فتضحك الابنة في مرح قائلة : « أوه يا بابا جواز ايه وبتاع ايه •• ده جه كده وكده من غير جواز ولا حاجة » •• فيقـول الاب مبهوتا : « كده وكده ازاي •• اليس له اب !•• » فتضحك الابنـة في

بساطه : « أوه يا بابا ، انهم كثيرون •• كيف اعرف من فيهم الاب » !

وبكل برود الاب الانجليزي لا نرى الرجل يشخط وينط ، ولا نراه ينزل في اولاده بالاقلام والشلاليت ، وانما يجلس في هدوء ويجمعهم حوله قائلا في تفكير :

ـ يبدو ان هناك اشياء كثيرة حدثت في لندن اثناء غيابي ، فقد اصبحت متخلفا جدا •• ارجوكم تعالوا فهموني •• لا بد ان لكم فلسفة معينة في هذه الامور •••

ـ بالطبع يا بابا •• انها مسائل فلسفية بالدرجة الاولى •• انها الحرية •• نحن طلاب حرية •• لم نعد نريد وصاية من احد •• الاجداد كذابون والآباء منافقون والوعاظ مرتزقة والشعارات تجارة والمبادىء سلالم وصول •• كفى •• لا نريد من احد ان يعلمنا الادب ولا دخول الحمام ولا قص الاظافر •• نحن احرار•• احرار •• احرار •• حتى من العمل •• نعم •• لن نعمل •• سوف نشحذ لنعيش •• الا ترى ان ذلك سيكون اكثر حكمة ؟

ويفكر الاب قليلا ثم يجيب :

ـ والله انها افكار جديرة بالتأمل فعلا •• اعطوني فرصة حتى احاول ان افهمكم •••

فاذا كان الفصل الثاني فوجئنا بالبريجادير يدخل

وهو عار-وفي رأسه ريش وعلى صدره وشم ورسوم وعلى جبينه عصافير ، يدفع امامه عربة روبابيكيا مكتوبا عليهـا « انـا اطرش واخرس •• ومحارب قديـم في جيش الامبراطورية •• اعطوني شلنا لله ! »

يدخـل البريجادير بهـذه الصورة علـى اولاده فيتجسدون في أماكنهم فاغري الافواه وكأنما نزلت عليهم صاعقة •• ثم يقول الابن في اشمئزاز :

ـ هذا بشع يا بابا •• ماذا فعلت بنفسك !

ـ انا يا ولدي آمنت بفلسفتكم وهذا كل ما حدث•• انا ايضا حر •• حر في ألا استحم ، وفي ان اسير عريانا واضع في رأسي ريشا مثلكم تماما •• انا مقتنع •• أليس لي الحق •

ـ ولكن هذا فظيع •• ماذا سيقول عنا الجيران •• وقسيس الناحية •

وتصيح الابنة :

ـ لقد انزلت بنا عارا لا يمحى •• سوف نصبـح اضحوكة الحي !

ـ وانت يا ماري التي حملت سفاحا •• ألم تنزلي بي العار ••

ـ يا الهي لقد كنت امرح •• هذه مسائل طبيعيـة

جدا •• لماذا نعقد الامور •• وانا في النهايــة حرة •• ولدت حرة مثل شعاع الشمس •• ولي كامل الحق في ان ألعب وأمرح •

ــ حسنا يا ابنتي وهذا ما افعله •• انا ايضا امرح مثل شعاع الشمس •

ــ ولكن ما تفعله شيء فظيع فظيع •• انك تشحذ •

ــ ولكن يا اولادي •• اليست هــذه هي آراؤكم نفسها التي تروجونها •• ألا تؤمنون بما تقولون •• أم انها مبادىء للاستهلاك الخاص !

ــ ولكن يــا بابا انظر لنفسك في المرآة •• وماذا تكتب على هذه العربة •• اطرش واخرس ونريــد شلنا لله •• يا للفظاعة •

فاذا كانت نهاية الفصل الثاني وجدنا الابناء قد عادوا الى ارتداء ثيابهم النظيفة •• ووجدت الابنة لهــا زوجا ليسترها ، في محاولة لاغراء الاب بالاقــلاع عن هــذه البشاعات •

وترتفع الستارة عن الفصل الثالث لنفاجأ بأن الاب مستمر في الشحاذة وفي تربية اظافره وشعره وهو يقلد ابناءه في هدوء • انه لن يقلع عن هذه الفلسفة الجديدة لانه ببساطة شديدة مقتنع بها ومؤمن بهــا بكل حماسة

واخلاص •• واكثر من هذا فقد اضاف الى الفلسفة بضعة تعديلات مبتكرة وطورها على حد تعبيره •• فمن اليوم لن يسكن في البيت ولكنه سوف يسكن على شجرة •

ويصرخ الابناء ويدقون على صدورهم •

ولكن الدنيا تتغير بسرعة دائما •

وفي ختام المسرحيــة نكتشف ان جميــع لوردات انجلترا •• كل واحد قد اختار شجرة ينام فوقها •• وان موظفي السكرتارية لا يعرفون كيف يستدعونهم لاجتماعات مجلس اللوردات !

لماذا الملل

حضارة اليوم طابعها الملل •

الحب يولد ليموت والمرأة طبق شهي لوجبة واحدة ثم يصفق القلب طالبا تغيير الطبق •• العين تمل واللسان يمل والمعدة تمل ••

الاسطوانة تكتسح السوق اليوم •• وغدا لا تجد من يشتريها •

الموضة الفستان الجرار المتهدل على الساقين •

الموضة فوق الركبة •

الموضة المفتوح •

الموضة المقفول •

الموضة الشوال •

الموضة الممزق •

التغيير •• التغيير ••

حتى في الفكر والفن •

سارتر ينادي بالوجودية •

سارتر يهجر الوجودية .

سارتر يقول لنا ماركسي .

راسل شيوعي .

راسل يهاجم الشيوعية .

الواقعية في الفن .

السيريالية .

التكعيبية .

التأثيرية .

كل مذهب ينتشر يفقد قيمته .

وكل فلسفة يظهر لها متحمسون فدائيون ثم ينفض من حولها السامر تماما كماركات العربات وتسريحات ذيل الحصان .

الملل .. الملل ..

كل جديد يصبح قديما بمجرد تداوله .

وكل لهفة تتحول الى فتور ثم ضجر قاتل .

وطريـق الخـلاص سيجارة وكأس ولفافـة مخدر وقرص منوم والف مسكن ومسكن للاعصاب وابونيه عند اطباء الامراض النفسية .

لم يعد زبون الكباريه تثيره مفاتن الراقصة العارية التي كشفت له عن مفاتنها ثم دعته الى شقتها .

ولكن اللذة الطبيعية اصبحت عاديـة .. والحواس تبلدت .

والملل يلتمس مهربا اخيرا في الشذوذ ٠
ثم في الافراط الى حد الاعياء ٠
ولا حل ٠
وفي محاولة اخيرة يلجأ الزبون الى مائدة القمار ٠
ثم ينحدر برجليه خطوة خطوة في طريق الانتحار ٠
أفيشات السينمات ٠٠ اعلانات الصيدليات ٠٠ عناوين الكتب « مانشيتات » الجرائد ٠٠ صور الكاباريهات ٠٠ تصرخ نحن في عصر الملل ٠

الوجوه الشاحبة والاذرع المدلاة والعيون المحمرة والانامل المرتجفة في عصبية ٠٠ تصرخ ٠٠ نحن في عصر الملل ٠٠ الحب كذبة عمرها عمر المناورات والمناوشات ٠٠ تذكيها الاثارة ٠٠ وحمى يؤججها التمنع والتدلل حتى تصل الى الفراش فتهبط الحرارة ويشفى الحبيبان ويستحمان في عرق العافية ويتحول الحب الى عادة حميدة يعقبها دش مرطب واكلة طيبة وامل خبيث في مغامرة جديدة تنعش الذي مات من العواطف ٠

النقود تثيرك طالما هي في جيب غيرك فاذا دخلت جيبك فقدت جاذبيتها ٠

الشهادة حلمك وغايتك وأملك حتى تحصل عليها فتنسى امرها تماما ٠

الوظيفة هدف براق حتى تنالها فتتحول الى عبء ثقيل ٠

لماذا كل هذا الملل .
لاننا في عصر افلاس القيم .
قيمة الحب التي تروجها الاغاني والروايات سقطت وافلست .. لان المرأة لا تصلح لان تكــون هدفا يطلب لذاته .

المرأة طريق .

نحن نحب المرأة الجميلة كطريق يوصلنا فيما بعد الى محبة الجمال ..

المرأة نافذة الى شيء وليست هدفا نهائيا .

واذا اتخذناها هدفا نهائيا كما تقــول لنا الاغــاني والروايات فاننا سوف نقتل هذا الهدف بحثا في الفراش ولن يتبقى لنا شيء نجري وراءه .

المرأة زيت يوقد المصباح لنرى علــى ضوئه اشياء اخرى غير المرأة .. معان وقيما ومثاليات نعشقها بلا ملل.
وبدون مثاليات وبدون ايمان لا يمكن لحياة ان تعاش
وحضارة هذا العصر سقطت لان ما فيها مــن فكر مادي اسقط الاديان ولم يستطع ان يقيم لها بديلا روحيا.
انه يقول لك انك تستطيع ان تدخل الجنة بخمسين ليرة في الكازينو فترى الحور العين مــن اللؤلؤ المكنون لابسات الحرير وترى انهارا من الخمر وانهارا من العسل

وزيادة على ذلك تستمتع بفرق اكروبات وتجرب حظك على مائدة الروليت •

وفي المدرسة يعلمونك ان آدم ليس من تراب ولكن من اسلاف من جنس القرود وانه سليل تطور انحدر من الحشرات وميكروبات المستنقعات •

وبسقوط هيبة الاديان يقف الانسان وحيدا بلا سند بلا ايمان في انتظار جودو الذي لا يأتي •

كل ما يملكه حياة فانية بعدها التراب ولا شيء وهو يتحول بهذا دون ان يدري الى يأس قاتم لا مخرج منه •• وعطش لا ارتواء له •• فهو ينتقل من لذة لا تروي •• الى لذة لا تروي •• ولا شبع •• ولا نهاية •

فهو قد اكتشف ان لا شيء حقيقي •

لا قيمة باقية ولا معنى لشيء ••

الملل هو كل ما تبقى له ••

وهو ملل لا علاج له الا بالعودة الى فكرة الروح الى الايمان بأن الانسان لا يموت وان في الدنيا قيم خالدة •• وان هناك حقيقة خلف عالم الظواهر والاوهام• حقيقة تبث في من يبحث عنها الحماس الذي لا حد له•

الرقص للرقص

اذا كنا نأخذ موسيقى الجاز الان من امريكا فهي قد اخذتها من قبل مـن افريقيا ••• فهي اذن بضاعتنا ردت الينا في عبوة جديدة •

والرقص يتطور اكثر فأكثر في اتجـاه الايقاعـات الزنجية ••• انتهى رقص زمان الرومانتيكي الحالم الذي يتلاصق فيه كل راقص مع رفيقته الخد على الخد والصدر على الصدر والفخذ علـى الفخذ ويتمايل الاثنـان ذلك التمايل المخمور البطيء مع التانجو •• والاثنان في احسن الحالات في دور اغماء عاطفي وفي اسوأ الحالات في دور اغماء جنسي •

مثل ذلك الرقص القديم كان قيدا اكثر منه حرية •• وكان الفرد فيه يضيع في قبضة العاطفة وكـانت الرقصة ذاتها وسيلة تقرب بين الذكر والانثى واسلوبا مهذبا من أساليب الغزل •

اما الآن فان الرقص تطور الى رعشات فردية مجنونة ورقصة مثـل رقصة الجيرك هي رقصة فرديـة تماما .. يرقص فيها الفرد لنفسه وللرقص .. لا يمسك ذكر بأنثى ولا انثى بذكر وانما كل واحد في عالمه يغني في واديه .. وتتحول الحركة الى وسيلـة تعبير عـن الخبايا النفسية العميقـة والضغوط السيكولوجية والتوترات الذهنيـة ووسيلة تفريج عن مختلف الطاقات المكبوتة بأسلوب بريء وفني فيه ابتكار وابداع .. ويمكن ان ترى الشاب في لحظة الاندماج يؤدي ما يشاء من الحركات بدون قانون سوى الموسيقى ذاتها وسوى قانون النفس .. فهو يلاكم الهـواء .. أو يلطـم .. او يندب .. او يتلوى فـــي شاعرية .. او يضرب نفسه .. او يتقافز مثل كرة مـن المطاط .. او يصفق ويصرخ ويدق الارض احتجاجا ...

وهو مغمض العينين لا يرى احدا ...

وهو لا يتقرب برقصته الى احـد ... ولا يتماسك مع احد ... وانما هو وحده مع كهنوته الداخلي .. فهي رقصة حرية وفردية .. وهي وسيلة تعبير بالفن والحركـة عن المكنونات النفسية .

ومثلهـا كثير مـن الرقصات الفردية العنيفة التـي انتشرت في هذا العصر .. وهي اشبه بمظاهرات احتجاج

وعرائض شكوى اسلوبها الحركة ولغتها الموسيقى .

وهذا اللون من الرقص افضل من الرقص العاطفي المخمور .. واكثر حرية واكثر براءة مـن التانجو الحالم الذي كنا نراه في كباريهـات زمان .. وهو لون مـن التنفيس والتفريج الصحي عن طاقات الشبابّ العنيفة .. وهو صورة طبق الاصل مـن الرقصات الزنجية التـي شاهدتها في الغابة يرقصها الزنـوج عراة في ضوء القمر على نغمات الطبول ولا يتخاصر فيها رجل بامرأة ولا امرأة برجل وانما كل واحد يهيم وحده في عـالمه يغني ويصرخ ويولول ويدق على صدره ويشكو الى خالقه من ظلم هذه الدنيا بتلك اللغة الخرساء البليغة التي اسمها الحركة .

والرقص الآن هـو زار مودرن يشترك فيـه بنات واولاد ركبهم شيطان الشباب وجن الرغبات المكبوتة .

وينفخ الزامر في مزماره ليعلن الشيطان عـن نفسه ويخرج من القمقم وتنطلق الاحزان الدفينـة كالجن من مخابئها .

وبعد ساعة من هـذه التشنجات تهدأ النفس الثائرة وتعود الى اتزانها .

وامثالنا مـن الجيل الوقور المهذب الذي لـم تتح له هذه الفرصة للتفريج عن ازماته والتنفيس عـن غليانه

الداخلي .. كانت تنتهي به ازماته الى تشنج مرضي ..
فيتشنج المصران ويؤدي الى حالة « قولون » مزمنة ..
او يتقلص الشريان التاجي ويؤدي به الى حالة ذبحة ..
او تتشنج الشعب الهوائية وتؤدي الى حالة ربو .

ومثل هذه الرقصات العنيفة هي صمامات أمن ومنافذ وقائية للشخصية المتوترة ... وهي احيانا ادوية اكثر نفعا من اقراص اللومينال والبرترانكيل ... وهي رياضة في عصر هو بحق عصر الانفجار .

التقدم إلى الخلف

حينما اكتشف الرجل الاوروبي البخــار والكهرباء وصنع الصلب والقطارات والطائرات واضاء المدن فأحال ظلامها نهارا .. امتلأ شعورا بالسعادة والعظمة .

وحينما وضع قدمه في افريقيا السوداء .. نظر اليها نظرة السيد الى ملايين العبيد المتخلفين المتأخرين المتبربرين المتوحشين .. وشعر بأن عليــه واجب الاخذ بيد هؤلاء الحيوانات الى نور المعرفة والعلم والوصايا العشر .

وبين زنوج عراة حفــاة وقف المبشر الاوروبي في ثياب نظيفة يقول لكل واحد :

لا تسرق ...

ونظر كل عريان بجواره يتساءل .. نسرق ماذا ؟

لا احد يملك حتى خرقة على جسده .. والطير يمرح على الشجر لمن يصطاده .. والارض مجانا لمن يزرعها .. والفاكهة دانية لمن يقطفها ...

نسرق ماذا .. ولماذا ؟

اسهل على الجمل ان يدخل ثقب ابرة من ان يدخل الغني جنة الله ..

ولكن من هو الغني ...

الذي يملك اكثر ... الذي عنده نقود اكثر . الذي عنده سندات وعقارات اكثر .

ولكن ليس بيننا من يملك اكثر ولا من يملك اقل .. ولا نعرف ملكية .. ولا نعرف نقودا .. وليس بيننا من يملك سندات وعقارات .

هذا عين التأخر والبربرية والوحشية !

سوف يصك لكم الرجل الاوروبي النقود .. وسوف يجعل بعضكم فقراء وبعضكم اغنياء .. وسوف يجعل بعضكم يملك وبعضكم لا يملك .. وهكذا تنشأ بينكم الاحقاد فتعرفون معنى الوصايا العشر .

ولكن ما بال الرجل الاوروبي نفسه لا يعمل بالوصايا العشر ؟

لماذا يسرق خيرات الغابة ويشحنها في البواخر المراصة على الشاطيء الى بلاده ... لماذا يقتل العبيد بالسخرة في المناجم .. لماذا يتزوج واحدة ويزني بالف .. ولماذا يكذب على نفسه وعلينا وعلى الله ؟!

وظلت الحياة تسير في رتابة بين المتوحشين المبربرين

تحصدهم الامراض وتتحالف عليهم الملاريا والحمى الصفراء والحيات والافاعي ورصاص المستعمرين ..

وتولى الرجل الاوروبي مهمة قتل نفسه في حربين عالميتين ..

وتولى حصار المدنية التي اقامها .. كلما بنى هدم.. وكلما اقام حطم ..

ولكن الادوات في يديه ظلت تتقدم من طائرات الى صواريخ ومن كهرباء الى ذرة ..

وها هو اليوم وقد امتلأ شعورا بالثقة وقد ازداد تأكدا انه اصبح السيد بالفعل .

سيد من ؟!!

سيد على الطبيعة وعبد لنفسه !

وهو يزداد عبودية لهذه النفس كل يوم ...

تستهويه البضائع الاستهلاكية في الفاترينات وتستعبده الثلاجة والغسالة والعربة البويك والريكورد والترانزيستور .

وسيطرة البضائع الاستهلاكية والترف الشخصي تفرض نفسها على بلد رأسمالي كأمريكا كما تفرض نفسها على بلد اشتراكي كروسيا ..

ومن اجل مزيد من الترف والبضائع الاستهلاكية لكل فرد ومن اجل السيطرة والتحكم في الآخرين سوف

بوم حرب ثالثه فلم تعد المسألة مسألة مذاهب .. وانما حقيقه المسأله ان الانسان لم يتقدم وانما تأخر .. وهو كل يوم يتأخر ..

الادوات في يديه هي التي تقدمت وتحول هو من صانعها الى خادمها ثم الى عبدها .

لكن كل هذه البضائع الاستهلاكيه ليست أكثر من لعب اطفال في فاترينه وكل ما احرزه الانسان من تقدم هو تقدم شكلي ..

والانسان في اثينا منذ اكثر من الفي سنة ايام سقراط وافلاطون وارسطو .. كان اكثر تقدما .. وكان يعرف طريقه الصحيح الى التقدم بالفعل .. كان يبحث كيف يعرف نفسه وكيف يتخلص من عبوديتها وكيف يحقق الحرية وكيف يحقق العدالة وكيف يصل الى معرفة الله .. وكان كل واحد يناقش الآخر في حرية ..

اما اليوم فكل واحد يطلق على الآخر الرصاص ..

ولا احد يفكر كيف يعرف نفسه ولكن كيف يشبع نهم تلك النفس الجشعة بلا حدود .

والنفس تدفن شيئا فشيئا تحت ركام البضائع الاستهلاكية يخنقها طمعها اللانهائي ..

نحن نتأخر .

الادوات في ايدينا تنمو في القوة باطراد حسابي كما نمو الاموال تلقائيا في البنوك ..

ولكن التقدم ليس ان تنمو الادوات وانما ان ينمو الانسان ..

ليس ان يسيطر الانسان على الآخرين وانما ان يسيطر على نفسه على غضبه ..

ليس ان يمتلك الانسان القوة بل ان يمتلك الرحمة.

ليس ان يفرض الشرق مذهبه على الغرب ولا ان يفرض الغرب مذهبه على الشرق .

وانما ان ترحب الصدور ليقول كل واحد كلمته ..

صحيح اننا الآن نركب صواريخ ونسير بسرعة ولكن الى وراء والى تحت والى خلف والى دغل كثيف نعود فيه حيوانات اكثر افتراسا من كل الحيوانات .. حيوانات مخالبها ذرية وانيابها نووية .. مسوخ اختل فيها التوازن فأصبحت لها ابدان هائلة وقلوب ضئيلة وارواح هزيلة ..

الجنس البشري الان هو الدينا صور الجديد الذي سوف ينقرض ..

واقرأوا التاريخ لتعرفوا كيف كان على الارض منذ ملايين السنين حيوان هائل ضخم كالجبل يحكم جميع الحيوانات اسمه الديناصور .. ثم انقرض وهلك .. والسبب انه كان قويا جدا ومغفلا ...

من أين تنبع السعادة

منذ الف سنة كان السفر الى اليمن علـى الاقدام يحتاج الى اعوام .. يحمل المسافر خيبته وزاده وزواده وزكائب التمر والبلح والخبز المكسر ويتوكل على الله .. وبين الفيافي والجبال والوهاد والاحراش يطل عليه الموت من انياب ذئب جوعان او قاطع طريق متربص او حر لافح يقصم الظهر او برد قارص يثلج العظام ... فاذا وصل سالما فهو قد ولد من جديـد ... وهي الفرحة التـي لا تدانيها فرحة .

والمليونير على ايامها لم يكن يمتاز على الصعلوك الا في الخيول المطهمة .

كان الفرس هو السيارة التي تختصر الاعوام في شهور وكانت هذه هي سرعة البرق زمان .

وعرفنا السفن الشراعية لننتقل من اهوال البر الـى اهوال البحر ..

يقلع المسافر فيمسك بأنفاسه وقد ادرك انه اسلم نفسه الى غول لا يعرف الرحمة .. فاذا وصل الى بر الامان دقت له الطبول والمزامير واستقبلته الاحضان وسجد لله شكرا من فرحة الوصول .

اما اليوم فنحن نقطع المسافة بين القاهرة واسوان في ساعات بالقطار ونشعر طول الوقت بالملل والضجر والبطء وننظر الى ساعاتنا حتى اذا وصلنا سالمين بدأنا نسب ونلعن لاننا تأخرنا نصف ساعة .

ونركب الطائرة النفاثة لنصل الى بيروت في دقائق ونشكو مر الشكوى لان الضباب والعواصف اخرت وصولنا عشر دقائق ..

وحينما نسافر غدا بالصواريخ الى المريخ سوف نكون اكثر مللا وتعجلا وسنقول .. ما هذه الصواريخ اللكع .. الا يعرفون في مصلحة الصواريخ قيمة الوقت ؟

وسوف تتضاعف قيمة الوقت بالفعل .

ستكون الساعة كافية للدوران حول العالم وسيكون الشهر مهلة عظيمة لجولة في المجموعة الشمسية .

وسوف تزداد الامكانيات ولكن سوف تتضاءل السعادة .

كلما ازدادت الامكانيات ازداد الطمع .

وكلما ازدادت السرعة ازدادت العجلة .

وكلما ازداد الترف ازدادت الشكوى .

تماما مثل حكاية الغني الذي يزداد طمعا كلما ازداد ثراء .

وهذا شأن المكاسب المادية .. كلما ازدادت ازداد الافتقار اليها والى المزيد منها وبالتالي ازدادت التعاسة .

لان السعادة موطنها القلب وليس الجيب ولا عبرة فيها بازدياد الامكانيات المادية .

السعاده تنبع من الضمير .. ومن علاقة الانسان بنفسه وعلاقته بالله وهي في اصلها شعور ديني وليست شعورا ماديا .

وهي تنبع من احساس الانسان بانه ليس وحده وان الله معه وان العناية تحوطه والالهام الخير يسعفه .. وانه يقوم بكل واجباته .

ولهذا يمكن ان ينتحر مليونير يملك باخرة وطائرة وعدة ملايين من الدولارات بينما تجد الراهب الذي يعيش على الكفاف يضيء وجهه بسكينة داخلية لا حد لها ويسارع الى نجدة الآخرين في محبة وسعادة لانه يؤمن بان للحياة معنى وحكمة وانها لم تخلق عبثا وانما خلقها العادل الرحيم .

يد الله ..

هل فكرت مرة في نفسك ؟

في جسمك وكيف يعمل ؟

ان علوم التشريح والفسيولوجيا فتحت اعيننا على عجائب ومدهشات يقف امامها العقل مذهولا .

نعلم الان بالحساب والارقام ان الرئتين فيهما من وسائل تنقية الدم وتهويته سبعة اضعاف الحاجة .. اي ان الله وهبنا منذ الميلاد سبعة اضعاف ما نحتاج اليه من النسيج التنفسي ...

وبالمثل في الكليتين احتياطي فائض عن الحاجة سبعة اضعاف اللازم لحفظ الحياة ...

ونجد هذا الكرم والسخاء ايضا في نسيج مثل الكبد وعضلات القلب وكرات الدم الحمراء وكراته البيضاء ...

ومن الحيوانات المنوية نقذف ، في المرة الواحدة اكثر من مائة مليون حيوان منوي اي ما يكفي لانجاب

شعب كامل ••• ومن هذه المائة مليون ينتخب واحد هو اقواها ••• هو الذي يصل الى مبيض الانثى قبل زملائه فيكون تلقيح البويضة وانجاب الوليد من نصيبه •

هنا شيء اكثر من السخاء والكرم •••

هنا يد الخالق وحكمته ومحبته مبسوطة على آخرها •

ويقول لنا التشريح ايضا ان العصب البصري فيه اكثر من مليون خط عصبي تتشابك كلها لتصنع شبكية هي قاع العين حيث تقع الصورة ويتم التقاطها في دقة فائقة •• وحيث نرى في العتمة واحيانا في الظلام ونميز بين درجات اللون الواحد وبين اخلاطه ما يذهل •

اما قدرة الاذن على التمييز بين درجات الصوت ونوعياته فمعجزة تفوق معجزة الابصار •• فالام قد تعجز عن تبين وجه طفلها الضائع في الزحام ولكنها تستطيع ان تميز صوت بكائه من الف صوت •••

بل ان الاذن تستطيع ان ترسم صورة كاملة لشخصة انسان من صوته ونبرته ولهجته •••

بل هي تستطيع ان تسمع الغيب وتصغي الى الهواتف التي تعبر اليها من عالم المجهول •••

وقد القي الامر الى الانبياء سمعا •• كما نعرف ••

فاذا وصلنا الى المخ فنحن امام خارقة الخوارق••• فها هنا مجمع خطوط عصبية اشبه بسويتش هائل يلتقى

فيه اكثر من مائة مليون خط عصبي كلها تعمل معا وفي وقت واحد في تلقي الرسائل وتحليلها والرد عليها ...

في كل لحظة يصل الى المخ شلال من الاحساسات من الجلد والاحشاء والعين والاذن والانف واللسان والعضلات والغدد ويخرج من المخ في ذات اللحظة طوفان من ردود الفعل في كابلات عصبية توصل كل رسالة الى مكانها .

جميع العضلات تبعث الى المخ في ذات اللحظة تفاصيل غاية في الدقة عن ما يطرأ عليها من توتر وانقباض وارتخاء وعلى المخ ان يرد في ذات اللحظة بالتعليمات المطلوبة للحصول على اي وضع نريده ... وهكذا نستطيع ان نقف على رأسنا او نمشي على ايدينا او نحفظ توازننا على قدم واحدة دون ان نقع .

وهكذا نجد ان عملية حفظ التوازن هي عملية معقدة من آلاف الضوابط ... كل عضلة لها مخ الكتروني صغير ومركز تنظيم في الدماغ ... والمراكز العديدة لها مجمع ترابط ينظمها جميعا ... ثم يخضع كل هذا للارادة والاختيار .

فاذا عرفنا ان فوق المخ شيء اعظم هو العقل ، وان المخ ليس الا الجانب الآلي من عملية شديدة الغموض .

وان العقل هو السيد ... هو الذي يأمر وهو الذي

يتكلم من وراء هذا السويتش العجيب ••• فنحن في النهاية امام معجزة اكبر •••

ذلك العقل الذي حاربنا به الميكروب وروضنا الاسد واسطدنا الذئب واخضعنا وحوش الغاب •••

ذلك العقل الذي بنينا به الاهرام والسدود ونقلنا الجبال من مكانها وهدمنا امبراطوريات وأقمنا امبراطوريات ••• واخيرا صعدنا الى القمر وسبحنا الى النجوم •

ها نحن كلما اكتشفنا آية من آيات كرم الخالق قادنا تأمل هذا الكرم الى كرم اكبر وعطاء اكبر •••

ومن وراء العقل يقودنا التأمل الى الروح ••• سر الاسرار ••• وذروة العطاء الرحماني •••

وهنا يعجز القلم ويسكت الفكر حياء امام نعمة لا يملك الخيال ان يحيط بها ••• اذ يصفها الخالق بأنها فيض منه فيقول عن خلق آدم « فاذا نفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين » ••• فهي نور من نوره ••• تعالى وتبارك في سماواته الذي خلقنا باسمه الكريم الوهاب وتناهت عطاياه فما تناهت ••• وما استطاع قلم ان يحيط بكرمه او يحصر افعاله •

بيروت ذات المئة ألف وجه

بيروت .. المرأة اللعوب .. مستحيل ان تصدر عليها حكما شاملا ..

انها يمكن ان تهبط بك السلالم الحلزونية الى علب الليل وحانات الستريب تيز .. ولكنها ايضا تصعد بك قمم فيروز والرحباني ..

وقد تتنافس في بيروت مجلتان .. على الصور العارية فكرة عادية لرفع التوزيع .

ولكن بيروت تفاجئك بنفس الوقت بمجلة اخرى على غلافها صورة ملونة لرجل عجوز وقور مثل توفيق الحكيم (فكرة لا يمكن ان تصدر عن رغبة في رفع التوزيع او اجتذاب مراهق جديد الى جمهرة القراء) .

وفي بيروت شوشو يمثل على طريقة ما قبل الكسار .

وفرقة ابو دبس تمثل على طريقة ما بعد الكوميدي فرنسيز .

وفي بيروت تاجر يبيعك بضاعة تالفة بسعر مضاعف .

وفي بيروت « ابو الشام » الطيب القلب الوديع الشهم الذي ما زال يلبس الشروال والزعبوط ويزرع الضيعة ويبيعك التفاح الفاخر بسعر التراب .

وفي بيروت من يحارب العروبة علنا ويتكلم الفرنسية ويقول ان لبنان يتبع خريطة اوروبا .

وفي بيروت من يستشهد في سبيل عروبته وعروبة لبنان .

وفي بيروت من يضحك اذا كلمته عن الاشتراكية ويعتبرها نكتة ظريفة .

وفي بيروت شبيبة جديدة . من طلبة الجامعات يطالبون بالتنمية والتصنيع وزراعة الاراضي المهملة وتشغيل الايدي العاطلة وتوجيه رأس المال الى المشاريع الاجتماعية النافعة بدلا من تركه ليبني العمارات على ارصفة الشانزليزيه في باريس ويتسرب في بالوعة المغامرين والمقامرين والمستغلين .

وفي بيروت من تتقدم للمنتج والمخرج وصاحب الجريدة لتتدرب في شققهم الخاصة على اول دروس التمثيل والشهرة وصور الغلاف والقبلات المحمومة .

وفي بيروت العذراء التي يحمر وجهها خجلا وتسحب يدها اذا عانقت انامك وكأنما لدغها ثعبان .

وفي بيروت الزوج الذي يغمض عينا عن زوجته التي تدور في حلبة الرقص مع صديق الخد ع الخد والساق لصق الساق والشفاه تهمس وتلثم اطراف الاذان

وفي بيروت الاخ الذي يقتل اخته غسلا للعار لانه ضبطها تبتسم لجاره من الشباك وقد يكون الاثنان من سكان حي واحد لا تزيد المسافة بينهما عن محطة اتوبيس .. ولكن بين كل واحد واخر في بيروت توجد عصور واجيال وحضارات وكأنهما من سكان قارتين مختلفتين وليسا من سكان شقتين متلاصقتين في طابق واحد .

في بيروت تجد عادات البداوة واخلاق السواحل وبراءة سكان الجبال وانحلال سكان المدن وغلظة الريف ورقة الحضر وقسوة الرأسمالية واحلام المثالية .

وفي بيروت تسمع الشعر والهذر .

وترى الطربوش والميني جوب .

وترى زبون الاسطوانات الذي يبحث عن اسطوانات الخنافس والى جواره من يبحث عن اسطوانات الشيخ رفعت .

وكل شيء صواب في بيروت وكل شيء خطأ .

وكل شيء ممكن وكل شيء مستحيل .

وانت حر .. وليست عندك ذرة حرية في نفس الوقت

(وبدون ليرات انت مسجون في فندقك .. واذا لم يكن معك اجر الفندق فأنت مسجون على الرصيف) .

وحتى رصيف الهورس تسو يحتاج الى ليرات . .

وتسألني بعد ذلك حكمي على بيروت .

لي عليها ستمائة الف حكم بعدد الستمائة الف ساكن الذين يسكنونها لكل واحد حكم خاص به .

فكل واحد مدينة في ذاته ولو ان اسم كل هذه المدن بيروت .

بيروت الغانية ذات الستمائة الف وجه .

السلطان الحقيقي

قل لي فيم تفكر اقل لك من انت .

هل انت مشغول بجمع المال وامتلاك العقارات وتكديس الاسهم والسندات .. ام مشغول بالتسلق على المناصب وجمع السلطات والتحرك في موكب من الخدم والحشم والسكرتيرات .. ام ان كل همك الحريم وموائد المتع ولذات الحواس وكل غايتك ان تكون لك القوة والسطوة والغنى والمسرات ...

اذا كان هذا همك فأنت مملوك وعبد .

مملوك لاطماعك وشهواتك وعبد لرغباتك التي لا شبع لها ولا نهاية .

فالمعني الوحيد للسيادة هو ان تكون سيدا على نفسك اولا قبل ان تحاول ان تسود غيرك .. ان تكون ملكا على مملكة نفسك .. ان تتحرر من أغلال طمعك وتقبض على زمام شهوتك .

والقابض على زمام شهوته .. المتحرر من ضعفه ونزواته واهوائه لا يكون خياله مستعمره بحتلها الحريم والطاس والفدادين والاطيان والعمارات والمناصب والسكرنيرات .

الانسان الحقيقي لا يفكر في الدنايا التي يرتمي عليها طغمة الناس .

وهو لا يمكن ان يصبح سيدا بأن يكون مملوكا ولا يبلغ سيادة عن طريق عبودية .. ولا ينحني كما ينحني الدهماء ويسيل لعابه امام لقمة او ساق عريان او منصب شاغر .. فهذه سكة النازل لا سكة الطالع .

وهؤلاء سكان البدروم في عمارة الانسانية لا سكان الادوار العليا .

وهم سكان البدروم حتى ولو كانت اسماؤهم بشوات وبكوات حتى ولو كانت القابهم اصحاب العزة والسعادة .

فالعزة الحقيقية هي عزة النفس عن التدني والطلب .

وممكن ان تكون رجلا بسيطا .. لا بك ولا باشا .. ولا صاحب شأن .. ولكن مع ذلك سيدا حقيقيا لك عزة الملوك وجلال السلاطين لانك استطعت ان تسود مملكة نفسك ..

وساعتها سوف يعطيك الله السلطان علي الناس ..
ويمنحك صولجان المحبة على كل القلوب .

انظر الى غاندي .. العريان .. البسيط .. كم بلغ سلطانه ..

كان يهدد بالصوم فيجتمع مجلس العموم البريطاني من الخوف وكأن قنبلة زمنية ستقع على لندن .. وكان يجمع اربعمائة مليون هندي على كلمة يقولها .. وكأنها السحر ..

هذا هو السلطان الحقيقي .

هذا هو الملك الحقيقي الذي لا يزول .

الحريم والقصور والكنوز والثروات والعمارات مصيرها الى زوال ..

لن تأخذها معك الى تابوتك .. سوف تنقل الى الورثة .. ثم الى ورثة آخرين ثم الى ورثة اخرين ثم تصبح خرائب مع الزمن .

أما محبة الملايين فسوف تصاحبك في تابوتك وتظل علما على اسمك مدى الدهر .. كما تفوح الذكرى عطرة تضوع بالشذى كلما جاء اسم غاندي على الالسن .

الغنى الحقيقي ان تستغني ...

والملكية الحقيقية الا يملكك احد والا تستولي عليك رغبة والا نسوقك نزوة ..

والسلطنة الحقيقية انتكسب قيراط محبة في دولة القلوب كل يوم ..

تذكر ان الذين يملكون الارض تملكهم الارض .. والذين يملكون الملايين تملكهم الملايين ثم تسخرهم ثم تجعل منهم عبيدا لتكثيرها .. ثم تقتلهم بالضغط والذبحة والقلق .. ثم لا يأخذون معهم مليما .

صدقني هؤلاء هم الفقراء حقا ...

لغز الرقم ٧

اليهود يقدسون اليوم السابع من الاسبوع (السبت) ويجعلون منه يوم راحة ... والسنة السابعة ويسمونها سنة السبت .. وكذلك ٧×٧ أي العام التاسع والاربعون ويسمونه عام العيد .

وتقول لنا التوراة ان الله خلق العالم في ستة أيام ثم استراح في اليوم السابع .

وفي الانجيل يقول لنا يوحنا اللاهوتي في سفر الرؤيا ان الله يوم القيامة يفتح كتاب الاقدار ويفض الاختام السبعة فينفخ سبعة من الملائكة في سبعة ابواق وتحدث سبع كوارث تنتهي بها الدنيا .

ويحدثنا القران عن سبع سماوات وسبعة ابواب للجحيم .. وسبع سنوات عجاف مرت بها مصر أيام نبوة يوسف .. وسبع ليال سخرت فيها الرياح المهلكة على قوم عاد .. وسبعين رجلا جمعهم موسى لميقاته مع الله ..

وسلسلة في جهنم طولها سبعون ذراعا •• ويقول للنبي الكريم « ولقد اتيناك سبعا من المثاني والقرآن العظيم »•• ويقول ان الله خلق العالم في ستة أيام ثـم استوى على العرش في اليوم السابع •

فاذا وضعنا الكتب المقدسة جانبا وجئنا الى العلم فأنا نجده يقول لنا ما هو أعجب •• فالنور يتألف من سبعة الوان هي الوان الطيف •• من الاحمر الى البنفسجي •• ثم يأتي بعد ذلك سبعة الوان غير منظورة من تحت الاحمر الى فوق البنفسجي وهكذا في متتاليات سباعية •

والموسيقى يتألف سلمها من سبع نغمات صول لا سي دو ري مي فا ••• ثم تأتي النغمة الثامنة فتكون جوابـا للاولى ويعود فيرتفع بنا السلم سبع نغمات اخرى وهكذا سبعات سبعات •

وفي ذرة الايدروجين داخـل قلـب الشمس يقفـز الالكترون خارجا من الذرة في سبع قفزات لتكون لـه سبعة مدارات تقابل سبعة مستويات للطاقة في كل مستوى يبث حزمة من الطاقة هي طيف من أطياف الضوء السبعة •

والجنين في بطن امه لا يكتمل نموه الا في الشهـر السابع واذا ولد قبل ذلك لا يعيش •

وقد توارثنا الاحتفال بسبوع المولود •

ثم نحن قسمنا أيامنا الى أسابيع نجد دلك في جميع الامم دون أن يكون بينها اتفاق •

ونحن نجد رقم ٧ رقما فريدا لا يقبل القسمة وليس له جذر تربيعي ولا يقبل التحليل الحسابي •• فهو في ذاته وحدة حسابية •

ونجده مستعملا في جميع طلاسهم السحر والاحجبه والتمائم وفي التسابيح وفي قراءة الاوراد •

ونجد للانسان سبع حواس •• حاسة السمع والبصر والشم واللمس والذوق وحاسة ادراك الزمن وحاسة ادراك الوضع في المكان •

ونجد فقرات الرقبة سبع •• هي كذلك في المنفد وهي كذلك في الزرافة وهي كذلك في الانسان والحوت والخفاش •• بالرغم من تفاوت طول الرقبة بين أقصى الطول في الزرافة وأدنى القصر في القنفذ •

هل كل هذه مصادفات •

واذا صحت مصادفة واحدة فكيف يجوز ان تجتمع كل هذه المصادفات على نفس الرقم •

يجب ان نعترف انه رقم له دلالة •• وانه رقم مهم وجوهري في بناء هيكل الكون وفي تكوين الانسان •

وانه لغز يثير التفكير والتأمل •

فرويد الرجل المريض

ما أكثر ما يبدو سطح البحر هادئا ناعما كبساط من حرير يوحي بالسلام والاستقرار والامان •

وما اكثر ما يخفي ذلك المظهر الهاديء الخادع صراع الموت والحياة وحشرجات الاحتضار في داخله حيث في العمق تسرح الحيتان وأسماك القرش والثعابين والاخطبوطات ••• تأكل بعضها بعضا وتطارد بعضها بعضا في سعار لا ينتهي •

وكذلك يبدو وجهك في المرآة هادئا وديعا صافيا وفي داخل نفسك تصطرع الغيلان وتشتعل الرغبات وتتأجج الغرائز وتضطرم الاحقاد •

ولكن انت ايضا كالبحر اذا تجاوزت الاعماق التي تصطرع فيها الحيتان وصلت الى سكون القاع حيث الاصداف واللآلىء والمرجان•• وكذلك نفسك اذا تجاوزت فيها منطقة الغرائز وصلت الى منطقة الروح حيث ترفرف

السكينة ويتلألأ ضياء الحكمة وتتفجر المحبة صافية من بين يدي الخالق الرحيمتين .

ويقول لنا الخالق انه قريب ... قريب جدا ..
أقرب الينا من حبل الوريد .. أقرب الينا من الدم في شرايينا .. فهو على عتبة روح كل منا .

وينكر فرويد هذا الكلام عن الروح ..

وينكر ان في النفس منطقة روحية تعشش فيها السكينة وتنشر الحكمة والمحبة انوارها ... وهو لا يعترف الا بالاعماق السوداء الحيوانية التي تصطرع فيها غيلان الغرائز ويقبض فيها سلطان الشهوة على كل شيء .

والذي يتابع ما يجري في أوساط علم النفس في أوربا والغرب يجد ان نجم فرويد قد غرب تماما من أفق علم النفس ولم يعد أحد يتكلم عن نظريته البائدة في الحافز الجنسي .

ومع ذلك ما زلنا نجد لفرويد نفس الهالة القديمة في نفوس شبابنا ربما لنقص او كسل في المطالعة والمتابعة وربما لان نظريته في الحوافز الجنسية تجد استجابة عند الشباب المراهق اكثر من النظريات الاخرى الاكثر عمقا وتجريدا .

ولا شك ان القول بأن الانسان يدور في فلك حول

غريزته الجنسيه هو قول مريح جدا بالنسبة لشاب فيمرحله مراهقة كل هرموناته وحواسه تدفعه دفعا الى التفكير في المنطقة التناسلية من جسده .

ولكن هذا الشخص ذاته سوف يغير رأيه في فرويد وفي نفسه حينما يبلغ أوج رجولته وتتسع اهتماماته وتنطلق عواطفه وافكاره خارج أسار غرائزه لتحلق في آفـاق أوسع وارحب .. ويجد نفسه يفكر ويتصرف بطريقة غير جنسية فيقاتل ويموت من أجل مبدأ ولا يفعل ذلك ابدا من اجل امرأة .. ويحلم ويقلق من اجل تلك الافكار والمباديء ولا يحلم ابدا بالاثداء والنهود والحلمات .

واكبر مطعن على صحة النظرية الفرويدية هي الطريقة التي استنبطها بها فرويد... فهو باعترافه قد جمعهامن افواه مريضات الهستيريا المترددات على عيادته ومن واقع دفتر احوال حفنة قليلة من ضحايا القلق والاعصاب والماليخوليا والنورستانيا .

ومن هذه الحفنةالقليلة المريضة خرج علينا باستدلالات حاول ان يعممها على الاسوياء الاصحاء ويجعل منها منهج سلوك الانسانية كلها .. وهو اسلوب غير علمي .

والقول بأنه كلما شاهد أحدنا في الحلم حفرة فانه يعني بذلك العضو التناسلي لامرأة وكلمـا أمسك بقلم في الحلم فهو انما يمسك بعضوه التناسلي .. لمجرد ان هذه

التفسيرات انطبقت على مريضة بالهستيريا هو السذاجة بعينها .

والقول بأن الطيران في الحلم رمز لمزاولة العملية الجنسية لمجرد تداعي هـذه الصورة فـي ذهـن مريضة بالماليخوليا .. هو سخافة اخرى .

ولماذا لا يكون الطيران رمزا للتطلع الـى الاسمى والاعلى .. لماذا لا يكون رمزا للتحرر من قيد الجسد .. لماذا لا يكون رغبة في التحليق بالفعل كما يتداعى فـي اذهاننا نحن الاصحاء .

وفرويد يمضي لاكثر من ذلك فيقول ان هوايه جمع طوابع البريد ما هي الا تنفيسا باطنيا لرغبة طفلية هي هوايه الطفل لقبض الشرج ليحتفظ بالبراز داخله تلذذا واستمتاعا .

وليست طوابع البريد الا البديل الرمزي للبراز وجمع الطوابع هي اللعبة الجديدة التي يزاولها العقل الباطن بدلا عن قبض الشرج .

وسخافة الاستنتاج وسخافه التعميم واضحة .

ونعرف كيف وصف فرويد تلذذ الرضيع بحلمة الثدى بأنه تلذذ جنسي مع ان هذا النـوع مـن التلذذ يستحيل الشعور به الا بعد البلوغ .. وهي حقيقة فسـولوجية أولية .

ولكن فرويد لم يبن نظريته على الحقائق وانما بناها على الاعتساف والتخمين .

والى القراء من هواة فرويد ممن صدقوا معه ان الهستيريا والجنون والعصاب اسبابها الكبت الجنسي أقول .. لماذا في بلد مثل السويد حيث لا كبت جنسي ولا حتى وازع ديني وحيث المشكلة بأسرها محلولة والمتعة الجنسية مباحة متاحة يمارسها الكل بلا حرج .. لماذا تقـول لنـا الاحصائيات الرسمية انه في ذلك البلد السعيد نجد أعلى نسبة للجنون والانتحار في العالم .

واين كلام فرويد من كلام الاحصائيات الدامغة .

ان اصرار فرويد على رد كل نشاط الى أصل جنسي هو في ذاته شهادة على تعسفه .. الفن في نظره تسـامي بالطاقة الجنسية وتغزل في الانثى بالشعر والموسيقى .. حتى الدين في نظره عبارة عن اعتذار للاب (الذي يرغب العقل الباطن في قتله والخلاص منه للانفراد بعشق الام) .. ومن ثم يكون الدين اعتذاروا للاب في الارض وللاب في السماء بتقديم فروض العبادة .

كل ما هو مستطيل في الحلم فهو عضو الرجل

وكل ما هو مستدير فهو عضو الانثى .

وكل حركة في الحلم هي رمز للعملية الجنسية الجري

المشي التسلق السباحة ركوب البسكليت القفز الطيران..
كلها رموز للعملية الجنسية .

هذا التعميم والتبسيط الساذج لا يمكن ان يكون مقبولا من عقل علمي .. ولا يمكن ان يقول به الا عقل مريض .

وهو رد الفعل الطبيعي من العقلية اليهودية المضطهدة في محاولتها لالقاء القاذورات على وجه الانسانية كلها وتصوير الدنيا في صورة جبلاية قرود .

لقد كان فرويد مريضا شأنه شأن مرضاه تماما .

والقصة التي رواها زملاؤه عن علاقته بزوجته وكيف انه لم يكن يقربها وكان يعيش معها في حالة تطهر مسيحي رهباني تؤكد ذلك .

اما كلام الفرويديين المتحمسين عن نجاح التحليل الفرويدي في علاج المرضى فانه لا يقدم حجة .. فالتحليل باسلوب ادلر نجح في علاج نفس المرضى .. والتحليل باسلوب «يونج» نجح في علاج نفس المرضى .. وهي نكتة اشبه بما كانوا يقولونه لنا في كلية الطب عن مرض الانفلونزا الذي يشفى بالادوية في اسبوع ويشفى بدون ادوية في سبعة أيام .

وسر النكتة ان مريض النفس يشفى بمجرد الافضاء والافشاء والتعاطف الحميم مع أي انسان على أي مذهب

وعلى أي منهج .. لان سر الشفاء هو في مجرد الاحساس بالصداقة والثقة والتعارف الحميم والاحترام الذي يفتقده المريض في بيئته .

ولا دخل للهذيان الفرويدي في الشفاء .

وللذين يتصورون مع فرويد ان المشاعر الدينية مصدرها الكبت .. نقول .. ان الشعور الديني لم ينتظر الكبت ليولد .. وانه ولد منذ حياة الغابة ومنذ المشاعية البدائية التي لم تكن فيها حرمات ولم يكن فيها كبت .. لانه احساس الفطرة بأن هناك خالقا وصانعا وموجها لكل شيء .

والفطرة كانت دائما المؤشر الذي لا يكذب .. والذي كان يشير الى الحقيقة باصبع ثابتة احيانا ، مرتجفة احيانا .

قد تهتز اليد التي تشير فيختلط على العقل فكرة الدين بالاسطورة والحقيقة بالخرافة فيعبد الشمس وينسى خالقها ويعبد الرمز وينسى المرموز له .. ولكنه يصل في النهاية الى الطريق السليم بعد رحلة البحث والتخبط ويضع يده على الحق الذي لا ريب فيه .

والطب بدأ على صورة تعاويذ واساطير .

وتاريخ الطب القديم هو الخرافة بعينها .

ومع ذلك لم يقل أحد بان علينا ان نرفض الطب الحديث لمجرد انه بدأ على تلك الصورة البدائية .

وبالمثل لا يمكن لاحد ان يرفض الدين لمجرد انه بدأ في القديم على شكل اساطير .

ان الحقيقة لا يمكن ان تكتشف دفعة واحده .. وانما خطوه خطوه تستصفى من الاساطير والالغاز والاحاجي

وابراهيم النبي بدأ بالاعتقاد ان القمر هو الله فلما غرب قال بل الشمس هي الله فلما أفلت قال اني لا أحب الآفلين .. لا يمكن ان تكون كل هذه الظواهر التي تأفل هي الله .. بل هي مجرد ظواهر مخلوقة .. والله الحق هو خالقها جميعا .

لقد مر بنفس مراحل اكتشاف الحقيقة بادئا بالوثنية حتى انتهى الى التوحيد .

وهكذا نرى ان تاريخ الاديان بكل ما فيه من اساطير لا يمكن ان يكون مطعنا على الدين الحق . وانما هو رحله العقل في مسراه ومعراجه نحو ادراك الحقيقة.. وهي رحلة شائكة يتخبط فيها العقل ويتوه الوجدان وتدمى الاقدام ويضل المسافر ويصطدم بالعديد من الازقة المسدودة قبل ان يهتدي الى الطريق المستقيم .

وما كلام فرويد الا زقاقا من تلك الازقة المسدودة التي يتوه فيها العقل ويضل الوجدان وينتكس الاسوياء عائدين الى مراهقتهم الاولى .

حينما تعجز الكلمات

الذي جرب ان يصطحب طفله الصغير في نزهة لا شك قد عرف هذه الحيرة التقليدية التي يقع فيها كل أب حينما يسأله ابنه عن الشجرة التي تقف على باب الحديقة ... ما هي ؟.. فيقول الاب .. هي شجرة ... فيسأل الطفل وما الشجرة ... فيقول الاب انها نبات .

ــ وما النبات يا بابا ؟

ــ ما ينبت الى فروع واوراق وجذور .

ــ وما الجذور يا بابا ؟

ــ هي شيء كالارجل للنبات ...

ــ وما حاجة الشجرة الى ارجل يا بابا ... وهل الشجرة تمشي ؟

ــ انها تحتاج الى الارجل لتقف طول الوقت .

ــ ولماذا تقف الشجرة طول الوقت يا بابا لماذا لا تقعد وتنام مثلنا ؟

ـ هي تنام واقفة .

ـ وهل الشجره صاحية الان ام نائمة ؟

وبينما يفكر الاب في مخرج من المأزق ... يفاجئه الطفل بسؤال اخر اكثر تعجيزا :

ـ ولماذا سموا الشجرة شجرة يا بابا ؟

ويسقط في يد الاب تماما ولا يجد مفرا من ان ينهر الطفل بشدة ويأمره بأن يغلق فمه ولا يسبب له الصداع... ولكن بينه وبين نفسه يكون قد اكتشف ان طفله على صواب وانه جاهل مثل طفله بحقيقة الشجرة ولا يعرف عنها الا انها شجرة ... ولا يدري لماذا سموها شجرة ... ولا ما الشجرة في ذاتها .

انه من كثرة ما ترددت امامه كلمة الشجرة ومن كثرة ما رددها هو نفسه في عباراته خيل اليه انها تعريف واضح مقنع وانها تدل على مدلولها .

وما فعله الطفل هو انه هتك ستار هذه الالفة فاذا بالاب يفيق على ذهول ... واذا بالكلمة مجرد اصطلاح ... مجرد بطاقة ... مجرد شيفرة ... مجرد حروف ... شأنها شأن نمرة نحاسية على صدر مسجون ... اطلقنا عليه المسجون نمرة ٨

لكن ما معنى المسجون نمرة ٨ ؟

لا معنى هناك ...

انه رقم شيفريٰ لا اكثر ٠

وبالمثل فلان الذي اسمه «منير» ٠

ما معنى « منير » ٠

انه لا اكثر من اسم اصطلحنا على انه لفلان ٠

ولكن لا احد يعرف معنى «منير» وحقيقته وماهيته٠

حتى «منير» لا يعرف شيئا عن حقيقة نفسه ٠

وبالمثل كل ما في الدنيا من كلمات ٠٠ هي مجـــرد اصطلاحات وحـــروف شفريـــة لا تختلف عـــن حـــروف او ج٠ع٠م ٠٠٠ في الدلالة علـــى مقصودها ٠

وهذه الحادثة البسيطة تكشف لنـــا افـــلاس اللغة ودورها المحدود ٠٠٠ فهي لا اكثر من واسطة شفريـــة اصطلاحية للتفاهم حول موضوعات العالم الخارجي مثـــل كوب وزجاجة ومائدة وكرسي وشجرة ٠٠٠

فاذا وصلنا الى داخل الانسان او الى ماهية الاشياء فان اللغة تفلس تماما ٠٠٠ ولا يعود لها دور ٠

وفي اعماق الروح لا تعود اللغة قادرة على وصـــف المكنون الروحي والتعبير عنه ٠

وكلنا جربنا حالات من الحب عجزت الكلمات عـــن وصفها ٠

ولحظات من الوجد الصوفي عجز فيها اللسان امام
واوع القلب وتشوف الوجدان .

وعرفنا اوقاتا كان الصمت فيها ابلغ من الكلام .
وفي داخل الروح مسلكه المعنى .
لا حروف ولا كلمات .
وانما السر .. والمعنى .. والجوهر .. والمكنون .
ويبدو اننا بعد القيام من الموت وبعد ان نبعث ارواحا
سوف نتخاطب بالمعاني والمشاعر مباشرة بدون وساطة
الحروف .

وكما يقول الصوفية في تسبيحاتهم عن الله ... انه
السميع بلا سمع والبصير بلا بصر والمتكلم بلا كلام أي بلا
حروف ... أي انه يلقي المعنى في النفس مباشرة ...
وهذا شأن عالم الروح في جلاله .
وهذا شأن فرحة الروح الطيبة عند لقائها بربها .
ستكون فرحة بلا لسان وبلا كلمات لانها اعظم من
حجم الكلمات واروع من كل اللغة .

العيال الذين ظنوا أنفسهم كبارا

احيانا تراودني الرغبة في البكاء مثل طفل صغير يتيم تاهت عنه امه في الزحام .. واشعر في تلك اللحظات اننا جميعا اطفال.. لا فرق كبير يذكر بيننا وبين اطفالنا في علمنا ومعارفنا واخلاقنا .

يخيل الينا اننا اخترقنا السماوات بعلومنا .. ولو فكرنا قليلا لوجدنا اننا ما زلنا في حروف ا.ب.ت.ث.. واننا كأولادنا على عتبة واحدة من الحيرة والتساؤل والجهل .

يقول لك طفلك وهو يشاور على القمر .. من أين جاؤوا بهذا القمر يا أبي ..

وتجاوب عليه بكلام كثير .. وتتلو علية نظريات وافتراضات .. خلاصتها انه لا احد يعرف الحقيقة .. ولا حتى أينشتين نفسه .

ويسألك طفلك عن جده الذي مات أين ذهب بعد موته .

وعن أخيه الذي ولد اين كان قبل مولده ..
فلا تعرف جوابا ..

فلا احد يعرف ماذا قبل الميلاد ولا ماذا بعد الموت ..
ولا من أين .. ولا الى أين ..

ويشاور لك على الكهرباء ويقول ما هذا .. فتقول الكهرباء .

ويسألك ما هي الكهرباء فلا تجد جوابا ..
ويسأل من اين اتت الكهرباء ..
فتحكي له حكاية طويلة عن ماكينات النور ووابور النور .. وانت لا تدري ما النور .. ولو سألت علماء الطبيعة كلهم ما وجدت فيهم واحدا يستطيع ان يدلك على ماهية النور وكنهه ولا حتى نيوتن ولا أفوجادرو ولا فاراداي ..

وما أجهلنا على الدوام ..
ابتكرنا علم النفس وكتبنا فيه المراجع ونحن لا ندري ما هي النفس .
واخترعنا الساعات لنقيس الزمن ونحن لا نعرف ما هو الزمن .
وسكنا الارض من ملايين السنين وما زلنا لا نعرف عنها الا قشرتها .
. نجتمع شهود الحادثة الواحدة فيختلفون في روايتها

ويحدثها كل واحد بصورة .. وهذا شأن الحادثة التي لم نسر عليها ساعة فما بال التاريخ الذي مر عليه الوف السنين وكتبت فيه المجلدات .. وكلها تخييل .

وما ابعدنا دائما عن الحقيقة .

وما أقل ما نعلم .

وما اقرب الفارق بيننا وبين اطفالنا في علمنا ومعارفنا.

بل ما اقرب الفارق بيننا وبين اطفالنا في اخلاقنا نحن الاوصياء والمربون .. وكل منا يحتضن املاكه كما يحتضن الطفل لعبته ولا يطيق ان تمسها يد منتفع .

وفينا البخيل والشره والاكول والطماع ومن يسيل لعابه على المليم .

والطفل يخطف والكبير يسرق .

والطفل يضرب والكبير يقتل .

والطفل يمد يده بالايذاء والكبير يمد عصاه وسكينه.

والطفل يرمي بحصاه .. والكبير العظيم يرمي بقنبلة ذرية .

الا يحق لي بعد ذلك ان ابكي على هذا العالم من العيال الذين ظنوا انفسهم كبارا !!

عالم الغيب

انت تصادف اليوم نوعا من الناس تجد الواحد منهم يتأبط كتابا ضخما بالانجليزية او الفرنسية ويبرز من فمه سيجار ضخم ينفث الدخان كمدخنة مصنع في لانكشاير فاذا رفعت يدك بالتحية رد عليك باللاتينية وبلسان معووج يتكلم برطانة اوروبية ... ومع الدخان المتصاعد والفتات المتناثر من عدة لغات يقول لك في نبرة كلها انبعاج وخيلاء:

ــ هل قرأت ما يقوله جوستاف لوفافر في الدوجماطيقية والفكر الاستاطيقي والتدهور الرومانطيقي والانحرافات السيكوباتية في المجتمعات الثيوقراطية ... في ملحق مجلة « الميتافيزيقا » ... انه مقال رائع (ويقلب شفتيه)

... مالنا نقف هكذا وسط الطريق ... دعني ادعوك على كأس في الهورس شو ... تعال ... سيكون حديثا ممتعا على أكواب البيرة .

فاذا اعتذرت له بانــك صائم ••• حملق في دهشة كأنه يستمع الى كـــلام دنياصور منقرض ••• وفغر فاه تماما ثم قهقه ••• بل انفجر ضاحكا وكأنما ظفر بمعتــوه هارب لتوه من مستشفى المجاذيب :

ـــ تقول انك صائم ؟

وعاد يقهقه هذه المرة في اشفاق :

ـــ وهل هناك من يصوم هذه الايام ••• هل تعتقد حقا في هذه الـ ••• ثم اشاح بيده استخفافا فالمسألة لا تستحق عنده ان يبحث لها عن اسم •

وهو يقصـــد طبعـــا ••• هــذه الاديـــــان ••• والخرافات ••• والاساطير •

ـــ هل تصدق حقا انك سوف تموت ثم تبعث وتصحو من قبرك وتحاسب ••• وان هناك اله •

ثم راح يتلفت حوله متسائلا :

ـــ اين هو

يقصد ••• اين الله ••• وكأنه يبحث عــن سائق تاكسي •

ـــ أتصدق هذه الغيبيات ••• اما زال هناك مــن يصدق هذه الغيبيات في عصر النور والعلم ••• أفق يــا رجل من هذه الدروشة ••• تعال ••• لتكن الدعوة على كأس ويسكي لا بيرة ولتكن معهـــا شريحة لحــم خنزير رائعة •

ويحمل عليك حملة شعواء بجميــع اللغات لدرجة تفقدك التوازن وربما الثقة بالنفس فتعود لتتعلل في خجل بانك ممنوع من الاكل والشرب بسبب التهاب في المعدة٠٠ ويسوق هو في فلسفته :

ــ يا اخي نحن في عصر العلــم ٠٠٠ ولا يصح ان نستسلم لهذه الغيبيات ٠٠٠ ولا يصح ان نؤمن بشيء الا اذا امسكناه بحواسنا الخمس ٠٠٠ ورأيناه بالميكروسكوب وشاهدنــاه بالتلسكوب ورصدنــاه بالرادار والتقطنــاه بالراديو ٠٠٠ لا يصح الايمان بغيب ٠٠٠ هذا امر انتهى ٠

الغيب امره انتهى وهو الان شغلة السذج ٠٠٠ هي كلمات نسمعها الان عادة من هؤلاء المثقفين ٠

ولمثل هؤلاء المثقفين من اصحاب السيجار والياقات العالية والرطانة الاوروبية اقول في هدوء :

ــ بل هذا العصر هو عصر الغيب ٠٠٠ والعلم ذاته هو اعتراف بليغ بالغيب ٠٠٠ والا فليقل لي واحد مــن هؤلاء العلماء ٠٠ ما هي الكهرباء ٠٠٠ اننا نتكلــم عــن الكهرباء ولا نعرف عنها الا آثارها ٠٠٠ من حرارة وضوء ومغناطيسية وحركة ٠٠٠ اما الكهرباء ذاتها فهي غيب ٠٠٠ نتكلم عن الالكترون ونقيم صناعات الكترونية ولا نعرف ما هــو الالكترون ٠٠٠ فهو غيب ٠٠٠ ونطلق الموجــة اللاسلكية ونستقبلها ولا نعلم عن كنههــا شيئا ٠٠٠ وهي

بالنسبة لنا غيب ... بل ان الجاذبية التي تمسك بالارض والشمس والكواكب في افلاكها وهي اولى البداهات ... هي ذروة الغيب ...

والعلم لا يعرف الا كميات ومقادير وعلاقات .. ولكنه لا يعرف كنه ولا ماهية اي شيء .

انت تعرف طولك وعرضك ووزنك ومواصفاتك... لكن ذاتك ... نفسك ... روحك ... لا تعرف عنها شيئا ... انها غيب ومع ذلك هي اكثر واقعية من اي واقع ...

واذا كان الواحد منا لا يعرف ذاته فكيف يدعي المعرفة بذات الله ومن باب اولي كيف ينفيها ...

وحينما يقول المفكر المادي ... في البدء كانت المادة .. في البدء الاول قبل الانسان والحيوان والنبات ... ألا يكون كلامه هو الجرأة بعينها على منطقة زمنية هي الغيب المطلق ...

وحينما يقول ... نضحي بالجيل الموجود في سبيل جيل لم يولد بعد ... الا يكون معنى كلامه ... التضحية بالواقع في سبيل الغيب .

صدقوني نحن في عصر الغيب ... بل للاسف نحن في عصر الزنا بالغيب والدعارة بالعلم على يد اصحاب السيجار والياقات العالية والرطانة الاوروبية .

الذي شنق نفسه بسلك الكهرباء

روسيا وامريكا التقتا وتصافحتا فــي الفضاء ولــم تستطيعا ان تلتقيا على الارض .

الانسان قطع ربع مليون ميل الى القمر ولم يستطع ان يقطــع بضع خطوات لينقذ جارا له يموت فــي فيتنام وكمبوديا والقدس .

المسافات بــين قلوب النــاس اصبحت اكبر مــن المسافات بين الكواكب وكل يوم يزداد الاخ عن اخيه تجافيا وبعدا .

انسان اليوم بدل ان يشغل نفسه بقتل الميكروبات اصبح يزرعها ويسمنها ويربيهــا ثم يصنع منهــا قنبلــة ميكروبية ليلقيها على جاره .

ويجاوب عليه جاره بنفس اسلوبه ضاحكا في جنون.

ـ قنبلة ميكروبية .. وما جدواها .. لقد سبقتك..

لقد اكتشفت غازا للشلل ارميه عليك فترقد مشلولا مثل

صرصور قلبوه على ظهره فيصفق الآخر ويهلل كالمعتوه .

ـ ... قديمة .. انا عندي صواريخ مدارية تدور الآن في فلك حولك واستطيع بضغطة واحدة على زر ان انزل عليك الموت كالمطر .

فيخرج الآخر لسانه ساخرا ..

ـ هذه لعبة فات أوانها .. فقد اخترعت صواريخ مضادة تصطاد صواريخك وتفجرها في الهواء .

فيهتف الآخر :

ـ لن تستطيع فقد بنيت شبكة مضادة ضد الصواريخ المضادة .

فيقهقه صاحبنا :

ـ نسيت يا ابله انني بنيت شبكة ضد الشبكة ..

فيصرخ الاول :

ـ ها ها .. انت حمار .. تذكر ان عندي مخزونا من القنابل الذرية يكفي لتمزيق القارة التي تسكنها .

فيصرخ الثاني :

ـ فلتذكر انت ايضا ان عندي مخزونا من القنابل الايدروجينية يكفي لشطر الكرة الارضية كلها نصفين ..

واعجب ما في هذا الحوار الهستيري انه يجري بالعلم والعقل والمخترعات والمبتكرات والافخاخ الالكترونية .. وانه حوار ينزف ذهبا ودولارات وماركات وروبلات وفرنكات بلا نهاية .

ورجل الشارع البسيط يمشي وسط هذه المظاهرة جائعا عريانا قليل الحيلة لا يعرف بماذا يطلع عليه الغد •

هل هذا عصر العلم ؟

ام عصر الجهل ؟

ام انه جهل العلم ؟

الله يعطينا الكهرباء •• فماذا نفعل بهذه الكهرباء ؟!

اننا لا نفكر كيف نحولها الى نور ••

ولكننا مشغولون طول الوقت في المعامل والمختبرات •• نفكر كيف نحول هذه الطاقة الكهربائية الى ظلام •

العالم يفكر في اذكى طريقة يلف بها سلك الكهرباء على عنقه لينتحر •

انه علم الجهل !

انه العلم الاسود !

ومثله مثل السحر الاسود الذي كان يحول به سحرة فرعون العصي الى ثعابين •

لانه علم بلا دين !

وعقل بلا قلب !

لقد طالت مخالبنا فاصبحت مخالب نووية ••

ونمت انيابنا فاصبحت انيابا ذرية •

وظل قلبنا على حاله •• قلب حيوان الغاب ••
تطور الانسان الى تنين ••
والنهاية الان مرهونة بمن يبدأ الحماقة •• من يضغط على الزناد قبل الآخر !

او من يفطن الى الكارثة فيفود التطور الى الاتجـ المضاد •• الى اتجـاه التسامي بقلب الانسان وروحه •• دون اعتبار لقوة يديه ومتانة عضلاته •

حينما يصبح للمرأة ذيل

الذي ابتكر فكرة « الموضة » كـان تاجرا ذكيـا جدا •• فهو الوحيد الذي استطاع ان يقنـع المرأة بان تلقي جميع فساتينها بدون سبب •

اذا كانت فساتينها طويلة اخرج لها موضة قصيرة •

واذا كانت جميع فساتينها قصيرة اخرج لها موضة طويلة •

وبهذه الخدعة اللطيفة يوشوش بها في اذنهـا في حنان وكأن المصلحة هي مصلحتها ــ سيدتي ان فستانك لا يتمشى مع الموضة •

استطاع ان يجعلها تلقـي بفستانها الجديـد الذي اشترته من شهر لمجرد انه ازرق والموضة بنفسجي •• او اصفر والموضة احمر •• او شوال والموضة ضيق •• او ضيق والموضة واسع •

وألاعيب الموضة لا تنفد في الضحك على ذقن المرأة

واثارة غرورها •• مرة تكشف لها صدرها ومرة تكشف لها ظهرها ومرة تشلح لها ساقها ومرة تبرز لهـا صدرها ومرة ترسم لها حلمة علـى السوتيان تخرق الفستان •• ومرة تكشف النهر المثير بين الثديين •• ومرة تكشف كتفا وتغطي اخرى •

من ايـام الفراعنة لايـام العصور الوسطى للعصر الفيكتوري لعصرنا الذري •• رحلة تثير العجب •• وتثير الضحك •

الفرعونية التي كانت تلبس الشوال الضيق وتقول لرجلها تغازله :

تعال انظر الي وانا خارجة من النهر •
وثوبي لاصق بجسدي يبرز كل تفاصيله •
الى زوجة لويس الرابع عشر التي تضع على رأسها ريشة وتلبس لحافا وبطانية ومشدات واحزمة وزنها طن •
الى امرأة الواحات التي تلبس المجرجر والخلاخيل والشخاشيخ وتضع في انفها حلقة •
الى الهندية التي تلبس الساري
والمصرية التي تلتف بملاية
والعربية التي تلبس العباية
والباريسية التي تلبس البكيني
وبنت اليوم التي تلبس الميني جيب والماكسي جبب

وتضع على عينيها نظارة ضخمة لها ضلفتين مـــن الزجاج كأنها قمرة سفينة .

لعبة اشبه بلعبة المهرج .

ولا استبعد ان تظهر موضة جديدة تصنع للمرأة ذيلا طويلا في مؤخرتها .. وان تدور المشاجرات في البيوت.. وتهدد الزوجة زوجها بطلب الطلاق لانه لم يشتر لها ذيلا لائقا مثل ذيول باقي صديقاتها .. وانهـــا لا تستطيع ان تمشي في الشارع بدون ذيل .. وان كل الناس يشيرون عليها ويضحكون لانها فلاحة متأخرة تمشي بدون ذيل .

ان كل شيء ممكن في عالم الموضة .

وهيافة الستات وذكـــاء التجار يمكن ان يؤديا بنا لأي شيء .

والموضة الان تحاول ان تستدرج الرجل .. بعد ان جعلت منه انثى بقصات الشعر البناتي والقمصان المشجرة والبنطلونات المحزقة .

ويبدو ان التجار يخططون للضحك على ذقن العالم كله .

ولعلهم اليهود الاذكياء .

ولو قالوا انهـــا جزء من بروتوكولات آل صهيون لصدقت .. فهي شيء اشبه بالمؤامرة للسخرية من الانسان واستنزاف وقته وثروته واهتمامه واثارة شهوته وغريزته

ليظل في حـال حيوانيـة باستمرار حتى يمكـن ركوبه واستغلاله كما يركب الحمار ويستغل وتقضى به الحوائج.

واكثر الموضات لا هدف لها سوى الاحتفاء بالغرائز واثارة اشواقها وتجميـل مكامن الفتنة المستورة ولفت النظر بالالوان الباهرة والخطوط المثيرة والعطور المشهية.. وهي دائما مؤامرة على الحواس لايقاعها في حبال الغريزة.

ولكنني اغالي كثيرا اذا اتهمت اليهـود وحدهم .. فهذا امر قديم جدا قبل مجيء اليهود الى الدنيا.

والتاجر المستغل غير ملوم وحده في بناء هذا الصرح من سرك المجاذيب .. وانما كل منا ملوم رجل وامرأة .. حينما يترك عنقه لتقوده شهوته وغروره وليترك يد اليهودي تدلك له ذلك الضعف لتستولي عليـه وتستغله .. فيخر كما يخر قط علـى الارض يهر ملتذا من الاصابع التـي تتحسسه ويسلم حافظة نقوده لتنشل.

صدقوني انه لامر مخجل جدا .. ذلك الشيء الذي اسمه الموضة.

بيت النمل

هل فكر احدكم ان يدخل بيت النمل •

صدقوني انها ستكون زيارة مثيرة •• اكثر اثارة من الصعود الى الفضاء والتجول على القمر •

ان النمل حشرة صغيرة جدا لا تزيد على ميللمتر ومع ذلك فهي مهندسة معمارية عظيمة تبني القلاع والحصون والغرف والدهاليز والمخازن وتهندس بدرومات كاملة تحت الارض •

وهناك نوع من النمل يمارس الزراعة •• فيزرع نبات عيش الغراب ويجلب له السماد من الاوراق المتعفنة •• ثم يحصده عند نضجه ويخزنه في مخازنه •

وهناك نوع آخر من النمل ••• كيميائي متخصص•• يمضغ الخشب ويحوله الى نوع من الكرتون ثم يبني من هذا الكرتون طرزا هندسية معمارية عجيبة •

وهناك نوع ثالث من النمل الافريقي يبني بيوتا

تشبه المسلات ثم يحقق لها نوعا من تكييف الهواء بفتح نوافذ سفلية لادخال الهواء البارد ونوافذ علوية لاخراج الهواء الساخن .

ويعيش هذا النوع من النمل حياة طبقية عجيبة .. فنجد فيه الملكة والاميرات والضباط ولكل منها مساكنه الخاصة وباقي الخلية من العمال البروليتاريا تشتغل بلقمتها .

وهناك نوع اخر من النمل المحارب المقاتل الذي يهجم في جيوش مثل التتار على هذه القصور فيقتل الجيش والحراس ويستولي على مخازن الطعام والتموين وينقل البيض ويتعهده في بيته حتى يفقس ويخرج منه النمل الصغير فيجعل منه خدما وعبيدا في مملكته .

وهناك نوع اخر من النمل يعيش على الرعي .. فيرعى قطعانا من حشرة المن ويحلبها ويعيش على افرازاتها السكرية .

وللنمل لغة يتخاطب بها ..

وبدون هذا التخاطب ما كان يمكن ان يوزع الوظائف ويقيم نظاما اجتماعيا تتباين فيه الاختصاصيات .

وعلماء البيولوجيا يقولون لنا ان النمل يتخاطب عن طريق القبلات .. بلغة كيمائية خاصة يفرزها مع اللعاب .. وبدل الحروف المنطوقة .. هناك درجات وانواع مختلفة من المذاق .

وللنملة عقل تدبر به حياتها •

فهي تجمع في الصيف وتدخر للشتاء •

وتدبر ميزانية مجتمع كبير من النمل بلا عـدد في مواجهة ظروف من البرد والجفاف بالغة الصعوبة • •

واعجب ما في عالم النمل ان هناك نوعا يرفض الحياة في مجتمع ونظام وخلايا ويختـار ان يضرب في الافاق ويهيم •• كل حشرة تهيم وحدها •• تسكن كل ليلة داخل ورقة ذابلة فاذا طلع النهار هجرت مسكنهـا ورحلت الى مسكن آخر •

وهكذا تقضي حياتها تتنقل كل ليلة من جرسونيرة الى جرسونيرة بـلا مسؤوليات وبلا اعباء مثـل حياة الهيبيين •

عالم مدهش •••

صدقوني ستتعلمون الكثير اذا دخلتم بيت النمل •

كيف تكسب الف جنيه فورا

اطمئن ..

لن اقـول لك اقطـع الكوبون في اسفل الصفحة وارسله مع اسمك وعنوانك مع الاجوبة علـى الاستفتاء كذا .. ولن احول الموضوع الى مسابقـة تنفق عليهـا سيجال او اعلان توزع جوائزه رابسو .

انما الموضوع جد .

وسوف أفكر معك بجد .

ولنبدأ من امثلة بسيطة .

وفي مثل هذا البرد الشديد لا بد انك فكرت كيف تتدفأ .

وكذلك فكر الانسان البدائي عندمـا داهمته أول موجة برد .. واعسل ذهنه .. وظل يخبط جبهته بيـده ويخبط حجرا بحجر وهو شارد .. واندلعت اول شرارة مصادفة مـن صك الحجر بالحجر .. وحملـق الانسان المذهول في هذه الظاهرة العجيبة .

ولا شك انه قد اتخذها بعد ذلك لعبة .. حتى امسكت الشرارة ذات مساء بعود قش جاف واضرمته نارا

وتعلم الانسان منذ ذلك اليوم كيف يحتطب ويجمع الاخشاب ويشعل النار .. ويرقص حولها ويطهو طعامه ويتدفأ .

ثم اكتشف الفحم .

ثم اكتشف البترول .

ثم اكتشف الغاز الطبيعي القابل للاشتعال .

ثم اكتشف الكهرباء .

ثم اخترع جهاز التكييف .

وكانت اول ثروة طبيعية للانسان هي يديه وحيلته .

وعن طريق يديه صنع الادوات .

وبهذه الادوات قطع الاشجار وحفر الارض لاستخراج الفحم .

وكان هناك رجل اكثر ذكاء اكتفى بالجلوس بعيدا لا يعمل يديه في شيء وانما يأخذ ما جمعه العامل ليبيعه.

ثم ظهر ناس اكثر ذكاء لا يفعلون اي شيء سوى ان يقوموا بالوساطة بين الايدي التي تأخذ وتعطي ويقبضون في مقابل هذه العملية سمسرة تفوق ما يربحه العامل والبائع .

ثم تعقدت أدوات الانتاج لتتحول الى مصانع .

واصبح المصنع هو قبعة الحاوي التي يوضع تحته التراب فيخرج منهـا حديـدا واسياخا وصفائـح صلب وسيارات واجهزة تكييف •• مع ربح هائل يدخل معظمه في جيب صاحب المصنع •

ثم ظهرت مؤسسات بهلوانية اسمها الشركات وظيفتها الاعلان والتسويق والترويج والبيع والتجـارة في تلك المنتجات •• تقـوم بالوساطة بين المصنع وبـين المشتري وتكسب من الاثنين اكثـر مما يكسبه الصانع وصاحب المصنع •

ولان المال السائـل في قدرته ان يشتري المصنـع ويؤسس الشركة فقد اصبح رأس المال بذاته قادرا على التوالد والتكاثر بدون ان يعمل صاحبه في شيء •• فقط ما عليه الا ان يودعه في بنك فيلـد له نسبة مئوية كـل سنة •• فاذا اقـام به مصنعا او أسس به شركة فسوف يحصل على نسبة اكبر من الربح •• واذا وقف يقامر به في البورصة على اضطراب الاسعار نزولا وصعودا مع اختلاف العرض والطلب ومع ازمات السياسة وحمى الفقر والغنى التي تتداول الناس والشعوب فسوف يكسب اكثر مـن الكل لانه سوف يتاجر في الفلوس ذاتها وسوف يتاجر في التجارة وفي سعر الذهب والورق الذي لا يستقر على حال•

والاغنياء الاذكياء الجدد الذين اشتروا بأموالهم كل

شيء مما كانوا يحلمون به من ارض ودور وقصور ومتاع لم يقفوا عند حد لان ثرواتهم لم تكن تقف عند حد فبدأوا يشترون الذمم ثــم يشترون الاحزاب والحكومات ثــم يحركون السلطة لصالحهم فيدفعونها الى تجبيش الجيوش وغزو البلاد المتخلفة واستعمارها لتكون اسواقا جديدة ومصادر جديدة للثروة والقوة •

وآخر صورة محزنة من هــذا الذكاء البشري هو ما نراه الآن فالاقوياء الاغنياء لم يعودوا يفكرون حتى في ان يحاربوا •• وانما اكتفت الدول الكبــرى بان تصنع السلاح ثم تبيعه للامم الفقيرة الصغيرة لتقتل به بعضهــا بعضا •• وتطوع الاذكياء باشعال الفتن في هــذه الدول الصغيرة البائسة كلما نامت الخلافات اوقدوا نارها •• بين الهندوس والمسلمين في الهند وبين المسلمين والمسيحيين في نيجيريا وبين الكاثوليــك والبروتستانت في ايرلندا •• لتظل الحرب مشتعلة تأكل السلاح وتبقي علــى الصغــار صغارا وتجعل الكبار اكبر والاغنياء اغنى •

وبرغم صراع الاشتراكية ظل القانون القديم سائدا•• ان من عنده يربح فيزداد •• ومن ليس عنده يخسر اكثر فاكثر •• الكبير يزداد كبرا والصغير يزداد صغارا •

والعلم بتطوره السريع يهدد المتخلفين الذين يزدادون تخلفا في معاركهم مع الكبار •• يهددهم بان يتحولوا الى

قرود •• بالنسبة الى الادوات العلميه التي تتطور في ايدي الكبار فتحولهم الى عمالقة وانصاف ارباب •

والدول الكبرى لم تعد تتصرف بحكم المبادىء والايديولوجيات •• وانما اصبحت تتصرف بحكم كونها كبرى ويجب ان تظل كبرى وتصير اكبر في مواجهة دول اخرى كبرى تحاول ان تكون اكبر ••

وفي حلبة الصراع بين الكبار •• تدوس الاقدام الصغار •• وتدوس مصالحهم وتدوس حياتهم •

هل فهمت شيئا من هذه القصة

لقد فهمت شيئا من السياسة •

وفهمت ان الانسان كان يكسب دائما باستخدام يديه وعقله وحيلته •• وان هناك طريقتين للكسب ان تكسب بالحيلة الشريفة عن طريق عمل يديك وعمل عقلك وأن تكسب بالحيلة الخبيثة عن طريق ايدي الآخرين وعقولهم وان في الامكان أن تكسب الف جنيه بشرف •• وذلك بان تقدم عملا او كشفا او اختراعا او امتاعا او نفعا للناس يساوي تلك القيمة •• ولا عذر لك •• ولا يصح لك أن تتعلل بان حظك من العلم قليل • فقد بدأ اديسون المخترع العظيم حياته صبيا يبيع الجرائد ثم اخترع لنا المصباح الكهربائي والجراموفون •• كما بدأ عالم الكهرباء العظيم مايكل فاراداي حياته صبيا يعمل في محل تجليد

كنب ثم اكتشف قوانين الكهرباء التي اخترعت على اساسها جميع اجهزة اللاسلكي فيما بعد .

واللاعب البرازيلي بيليه جمع ثروة هائلة من مجرد اتقان الجري .. وأي اجتهاد في أي شيء ولو كان اجتهادا في اللعب .. لا بد ان يؤتى ثمرته .

اعمل بجد في اي شيء .

واذا لعبت فالعب بجد .

وابدأ فورا من الآن .

لا تبرر كسلك بان العلم في المدارس والجامعات وانت محروم من المدارس والجامعات .. فالعلم في الكتب والمكتبات .. وهو متاح على الارصفة ارخص من علب السجائر .

وهو في دور الكتب مجانا .

والقدرة على الابتكار موهبة اودعها الله في كل عقل .. كل ما عليك ان تبدأ .

غادر مقعدك المألوف على المقهى فورا .. واكدح بذهنك ويديك في شيء . ولا تظن ان الالف جنيه قد وقعت على رأس اي واحد بمجرد التمني ودون ان يجتهد في كسبها .

وتأكد ان تسخيرك لذكائك اسهل من تسخيرك للجن .

وثق بان مفعول ذكائك اقوى من مفعول السحر .

واذا شككت في كلامي فاقرأ المقال من جديد لتعلم كيف قامت دول كبـرى .. وكيف صنع المصنع مـا لا تصنعه قبعة الحاوي .. وكيف صعد الانسان للقمر بدون بساط سليمان .. وكيف انك مهدد بان تتحول الى قرد اذا ظللت جالسا في جلستك اليومية على المقهى لا تجهد ذهنك في شيء .. بينما العالم من حولك في سباق علمي رهيب يفض اسرار الذرة ويسخر القـوى النوويـة في صناعة الاعاجيب .. فيزداد الاقوياء قوة ويزداد الضعفاء ضعفا .. الى ان يصبح المتخلفون في مكانـة القرود او اقل من القرود .

هل تشعر باني خدعتك .

بل لو كنت قلت لك غير هذا لكنت خدعتك .

صدقني ...

التدليك العاطفي

نظرة سريعة على الافيشات والملصقات وافلام الحب المرسومة على الجدران •• حب ودماء •• حب وضياع •• حب تحت الشمس •• جنون الحب •• جريمة الحب •• ليلة حب •• وصورة فخذ عريان في بانيو •• وامرأة ملقاة في الفراش وفوقها رجـل •• وخنجر مغروز في صدر عريان •• ومدفع رشاش في يـد امرأة لابسة مايوه •• ومروض وحوش في يده كرباج وتحت قدميه جينا لولو بريجيدا ومكتوب عليها رغبات شاذ •• ورجل في حضن رجل ومكتوب عليه •• علاقة سرية •• وعجوز متيم بحب لوليتا في الثالثة عشرة من عمرها •• وحب سن الثمانين •• وسفاح الحب •• ولهيب الحب •• ونار الحب •• ولذة الحب •

وما ابعد كل هذا الهذيان عن الحب •

ومـا اشبهه بمؤامرة علـى اعصاب المتفرج وجيبه وعقله ••

مؤامرة ابتزاز صريحـــة تحت شعـــار أنبل المشاعر الانسانية •• مشاعر الحب •

لماذا لا يسمون الاشياء باسمائها الحقيقية ؟
ولماذا لا نقرأ الصور بدقة حتى لا تخدعنا العناوين ؟
لماذا لا نعترف اننا في عصر الترويج العلني للدعارة والشذوذ والجريمة •• وان بلاتوهات السينما تحولت الى مخادع للتفرج المشروع على أساليب الاغراء الجنسي !

انه الجنس والدم •• ولا شيء آخر ••
وما أبعد الجنس عن الحب ••
وما أكثر ما يتم الجنس بلا حب •• بل ومع الكراهية
وما أكثر ما يتم شراؤه وبالمال •
ان الجنس والحب لم يكونا ابدا توأمين •
والحب الحقيقي هو قطعا شيء آخر غير ما نرى في السينما •

انه في ذلك الحنان الذي رأيناه بين آبائنا وامهاتنا•• وتلك المودة والرحمة اللتان تؤلفان بين قلب الرجل وقلب المرأة وتصنعان تحالفا هادئا على عمل الخير وعشرة ناعمة خالية من هذه التشنجات الدرامية التـــي نراها مدسوسة علينا في التليفزيون والسينما •
هـــــذه المآسي المفتعلة والمواجـــع المزيفة والانات الجنسية والرعشات المخبولة هي بضاعـــة التجار وسلعـــة

المنتجين اليهـود يدسونها لنا مـع الافيون والهرويـن والحشيش والماريجوانا وعقار L. S D •

انها جزء مـن عملية واسعة لتخدير العـالم تمهيدا للسطو عليه •

وشركات التليفزيون والاذاعة والاسطوانات ودور النشر والمجلات تسابقت في نشر هذه الحمى احيانا بقصد واحيانا بغفلة ودون وعي كما يحدث في بلادنا •

وانتشرت الاغاني التي تقوم بهذا النوع من التدليك العاطفي امثـال ••• من سحر عيـونك ياه •• وتنطقهـا المطربة •• من سحر عيونك ياح ••

وتعال يالله يالله•• تعال يالله يالله•• في غمضة عين•

وننام على حب ونقوم على حب •

وعذبني وانا اجري وراك •

ويا مدوبني دوب •

وهي اغاني لا تختلف كثيرا عن اغنية كرستين التـي تصرخ فيها كرستين بصوت هامس اجش فيه فحيح ••

اوه يا حبيبي •

مرة أخرى أرجوك •

ثم نسمع في المانيا عن الهر يواخيم درسين صاحب مجلة « سانكت باولي تسايتونج » وكيف انه انشأ حزبا في هامبورغ اسماه « حزب الحب » وشعار الحزب هو

الحرية الجنسية للجميع .. الرجل يتزوج الرجـل والمرأة تتزوج المرأة والازواج يتبادلـون زوجاتهـم في الفراش والاولاد والبنات يتدربون على الجنس من سن التاسعة . وحبوب منع الحمل والحبوب المهيجة توضع في بطاقات التموين وتوزع مع السكر والزيت والشاي وشعار الحزب هو « الجماع بدل الحرب » فتزحف الشعوب بعضها على بعض ليجامع رجال شعب نساء الآخر في مؤتمرات للذة بدلا من زحف الجيوش للحرب .

ومجلة الهر يواخيم تبيع مليون نسخة .

وهناك ثلاثة آلاف الماني والمانية يدفع كـل واحد عشرة ماركات اشتراكا شهريا ورسم ولاء وانضمام لهـذا الحزب .

وسكرتيرة الهر يواخيم فتاة جميلة تستقبل الزوار عارية .

وهذه نهاية التدليك العاطفي .. المؤامرة التي رسمها التجار الاذكياء للقضاء على العالم .

انت امبراطور

لا تصدقني اذا قلت لك انك تعيش حياة اكثر بذخا من حيـــاة كسرى انو شروان .. وانـــك اكثر ترفا مـــن امبراطور فارس وقيصر الرومان وفرعون مصر .. ولكنها الحقيقة .

ان اقصى مـــا استطاع فرعون مصر ان يقتنيه مـــن وسائل النقل كان عربة كارو يجرها حصان ..

وانت عندك عربة خاصة وتستطيع ان تركب قطارا وتحجز مقعدا في طائرة !

وامبراطور فارس كـــان يضيء قصـــره بالشمــــوع وقناديل الزيت .. وانت تضيء بيتك بالكهرباء !

وقيصر الرومان كان يشرب من السقا .. ويحمـــل اليه الماء في القرب .

وانت تشرب مياها مرشحة من حنفيات ويجري اليك الماء النظيف في انابيب !

وهارون الرشيد كانت عنده فرقة موسيقية تعزف له في أوقات لهوه وفراغه ...

وانت عندك مفاتيح الراديو توصلك الى آلاف الفرق الموسيقية وتحمل الى اذنك المبهج والمطرب والممتع من كل صوت وكل فن !

والامبراطور غليوم كان عنده أراجوز ..

وانت عندك تليفزيون يسليك بمليون اراجوز .

وعندك السينما سكوب والسينراما !

ولويس الرابع عشر كان عنده طباخ يقدم له افخر اصناف المطبخ الفرنسي ..

وانت تحت بيتك مطعم فرنسي ومطعم صيني ومطعم الماني ومطعم ياباني ومحل محشي ومحل كشري ومسمط ومصنع مخللات ومعلبات ومربات وحلويات !

وقارون اغنى اغنياء العالم يقول لنا التاريخ ان كل ثروته لم تكن تزيد عن مائتين من الجنيهات بالعملة النحاسية ... وهو مبلغ تستطيع ان تكسبه الان في شهر .

وجواري الخليفة تجدهن الان معروضات في بيجال باريس بعشرة فرنكات للواحدة .. شقر وسمر وسود وبيض من كل لون اوكازيون .

ومراوح ريش النعام التي كان يمروح بها العبيد على وجه الخليفة في قيظ الصيف ولهيب آب عندك الان مكانها

مكيفات هواء تحول بيتك الى جنة بلمسة سحرية لزر كهربائي !

انت امبراطور .

وكل هؤلاء الاباطرة جرابيع وهلافيت بالنسبة لك ..

ولكن يبدو اننا اباطرة اغبياء جدا .. ولهذا فنحن تعساء جدا برغم النعم التي نمرح فيها .

فمن عنده عربة لا يستمتع بها وانما ينظر في حسد لمن عنده عربتان .. ومن عنده عربتان يبكي على حاله لان جاره يمتلك طائرة .. ومن عنده طائرة يكاد يموت من الحقد والغيرة لان اوناسيس عنده مطار .. ومن عنده زوجة جميلة يتركها وينظر الى زوجة جاره .

وفي النهاية نسرق بعضنا بعضا ونقتل بعضنا بعضا حقدا وحسدا .

ثم نلقي بقنبلة ذرية على كل هذا الرخاء .. ونشعل النابالم في بيوتنا .. ثم نصرخ بانه لا توجد عدالة اجتماعية .. ويحطم الطلبة الجامعات .. ويحطم العمال المصانع ..

والحقد وليس العدالة هو الدافع الحقيقي وراء كل الحروب .

ومهما تحقق الرخاء للافراد فسوف يقتل بعضهم بعضا لان كل واحد لن ينظر الى ما في يده وانما سينظر

الى ما في يد غيره ولن يتساوى الناس ابدا .

فاذا ارتفع راتبك ضعفين سوف تنظر الى من ارتفع اجره ثلاثة اضعاف وسوف تثور وتحتج وتنفق راتبك في شراء مسدسات .

لقد اصبحنا اباطرة .. هذا صحيح .. ولكننا ما زلنا نفكر بغرائز حيوانات .

تقدمنا كمدنية وتأخرنا كحضارة .. ارتقى الانسان في معيشته .. وتخلف في محبته ..

انت امبراطور .. هذا صحيح .. ولكنك اتعس امبراطور ...

وسوف تقتل نفسك وتترك بطاقة مضحكة تقول فيها:انتحرت بسبب الفقر.. لم استطع ان اعيش امبراطور في عالم كله من « السوبر اباطرة » .

الواقع الكذاب

ما نراه في الواقع ليس دائما هو الحقيقة ..
حتى ما نراه رأي العين ونلمسه لمس اليد ..

فنحن نرى الشمس بأعيننا تــدور كل يوم حــول الارض ومــع ذلك فالحقيقــة ان العكس هو الصحيح والارض هي التي تدور حول الشمس .

ونحن نرى القمر في السماء اكبر الكواكب حجما مع انه اصغرها حجما .

ونحن نلمس الحديد فنشعر انه صلب متدامج مــع انه في الحقيقة عبارة عن ذرات منثورة في فراغ مخلخل وبين الذرة والذرة كما بين نجوم السماء بعــدا .. وما يخيل لنا باللمس انه صلابة وتدامج هو في الحقيقة قوى الجذب المغنطيسي الكهربائي بين الذرة والذرة .. نحن نلمس القوانين بأصابعنا وليس الحديد .

ونحن ننظر الى السماء على انها فوق والارض على

انها تحت مع انه لا يوجد فـوق ولا تحت .. والسماء تحيط بالارض من كل جوانبها .

والهرم بالنسبة لنا شيء لا يمكن اختراقه مـع انه بالنسبة للاشعة الكونية شفاف كلوح الزجاج ترى مـن خلاله وتنفذ من خلاله .

وصقيع القطبين الذي نظن انـه غايـة البرودة هو بالنسبة لبرودة اعماق الفضاء جحيم ملتهب .

وفي الحقائق الإنسانية تكذب علينا العين واللسان والاذن اكثر واكثر ... فالقبلة التي تصورناها في البداية مشروع حب نكتشف في النهاية انها كانت مشروع سرقة.

وجريمة القتل التي احس الجميع انها ذروة الكراهية يكتشف الجميع انها ذروة حب .

وما قد يبدو للزوج انه خيانة مـن زوجتـه لفرط احساسها بجمالها قد يكون الدافع الحقيقي له هو احساس الزوجة بقبحها وشعورها بالنقص تحـاول الخلاص منـه باستدراج اعجاب الرجال والانتقال من خيانة الى اخرى.

وما تكتب عنه الجرائد بالاجماع على انه بطولة قد يعلم البطل نفسه انه كان انتحارا .

وفي الحقائق الاجتماعية تتعقد الامور اكثر ويغرق الحق في شبكة من التزييف تشترك فيهـا كـل الارادات

ويصبح الحكم على الامور بظاهرها سذاجة لا حد لها .

وفي الحقائــق التاريخية يكتب المؤرخون في كل عصر ومن ورائهم السلطة وتكتب اقلامهم ما يريد الاقوياء ان يقولوا .

وما اصعب الوصول الى الحقيقة ...

ان الوصول الى المريخ آسهل مــن الوصول الــى حقيقة اكيدة عن حياة وردة تتفتح كل يوم عند نافذتك .. بل ان الوصول الى ابعد نجم في متاهات الفضاء اسهل من الوصول الى حقيقة ما يهمس في قلب امرأة على بعد شبر منك ...

بل ان عقولنا تزين علينا حتى عواطفنا نفسها فنظن ان حب المجد يدفعنا بينما هــو الغرور وحب الذات .. ونظن انها العدالة هي التي تدفعنا الى القسوة بينما هو الحسد والحقد .

من الذي يستطيع ان يقول .. لقد ادركت الحقيقة.؟

من الذي يجرؤ ان يدعي .. انه عرف نفسه ؟

ليس من باب التواضع ان نقول .. الله اعلم .

وانما هي الحقيقة الوحيدة الاكيــدة في الدنيا .. اننا نجهــل كــل الجهل حتى مــا يجري تحت اسماعنا وابصارنا .

وبرغم جهلنا نتعصب كل فريق لرأي •• وقد تصور كل واحد انه امتلك الحق فراح ينصب المشانق والمحارق للآخرين •

ولو ادركنا جهلنا وقدرنا لانفتح باب الرحمة والحب في قلوبنا ولاصبحت الحيـاة علـى الارض جديرة بان نحياها •

متى نعرف ؟

انا لا نعرف ••؟!!

الجمع والطرح

اكثر ما نرويه من قصص الغرام هي في نظري الوان مختلفة من الصراع على السلطة .

الرجل يحب المرأة ليمتلكها ويعلن عليهـا الوصاية والحراسة ويعطيها اسمه لتكون مجرد امتداد له .. وما حبه الا انانية وقد وجدت لها اسما جديدا لطيفا مشروعا.

فاذا اكتفى بها عشيقة في سلك حريمه فهو يحقق بها رغبته الخبيثة في الظهور كدون جوان ذي فحولة ورجولة لا تقاوم .

والمرأة هي الاخرى تحـاول ان تسجنه بوسائلها ، فتحاصره بالغيرة والواجب الزوجي والاولاد ، فاذا لم تجد غيرتها بدأت تثير غيرته هو عليهـا لتجعل حيـاته جحيما مشتعلا وانحصارا دائما في التفكير فيها وفيما تفعله واين ذهبت ومن اين اتت ، وهدفها النهائي ان تسجن عقله كما سجن هو جسمها ، فاذا لم تستطع ان تستولي علـى عقله

استولت على جيبه او جعلت منه سلما للشهرة ودعاوة ذائعة عن انوثتها .

كل منهما يحاول ان يفوز بالسلطة .

انانية تحاول ان تبتلع انانية .

وغريزة تحاول ان تلهب غريزة .

صراع حيـواني بالناب والمخلب والاعضاء التناسلية نسميه كذبا وافتراء « الحب » ...

والنتيجة ان حاصل جمع الزواج يكون غالبا صفر.. انه الواحد والواحد اللذان لا يؤديان الى اثنـين ، وانما يؤديان الى صفر .

المرأة التـي تتخيل بعـد الزواج انها ستكون لهـا حريتان .. حاصل الجمع الطبيعي لحريتها وحرية زوجها.. تفقد حتى حريتها الوحيدة .. والرجل الذي يتصور ان حب زوجته سيكون طريقه الى حب الحياة والناس يكتشف ان عليه ان يكره الناس وينفر من الكل وينعزل عن الدنيا ليلقي بنفسه بين احضان زوجته ليكون حبيبا حقيقيا .. وكأن الزواج هو حاصل طرح وليس حاصل جمع .

وبعد معركة دموية يكتشف الرجـل في آخر العمر ان ما كان يجري وراءه باسم الحب لم يكن حبا .. وانما كان صراعا على السلطة .. من الذي يحكـم ومن الذي يرفع راية الاستسلام ؟

اما الحب فما اندر وجوده ..

الحب الذي يتسم بانفتاح كامل على العالم .. الحب الذي تكون المرأة فيه دليل الرجل .. والرجل دليل المرأة في رحلة الحياة .. لا يقف احدهما ليحيط بعنــق الآخر ساعيا الى امتلاكه .. وانما كل منهما يطلق الآخر من قيده ساعيا الى تحريره .. حيث يكون موضوع الحب النهائي لكليهما هي الحياة ذاتها يجهدان فيها متشاركين بجهدهما ومساهمتهما ..هذاالحب ما اندره !

وليس ما نرى حولنا في السينما وفي الكتب الا ذلك الحب الصغــير الذي يتألف مــن الرجل والمرأة والجنس والفلك المقفل الذي يضمهما في عزلة عن كل شيء .. كل منهما هدفه وغايته هو الآخر .. ثم فراغ وعدم ولا احد.. وجوع لا شبع فيه ولا نهاية له .. لان ما يرتشفه الاثنان لا يروي الغليل فما يرتشفان سوى وهم اللحظات .

احيانا اشعر ان من عرفوا الحب في هذه الدنيا كانوا قليلين جدا .

وان المسيح احب كــل الحب ، وغاندي احب كــل الحب ، لان كلاهما اعطى ولم يأخــذ وكلاهما اتسع قلبه للكل ولا لاحد .

هل يمكن ان تساعد امرأة زوجهــا ليكون غاندي ليعطي نفسه للدنيا بدلا ان يعطي نفسه لها !

لا ادري •• ولا احب ان اتهم النساء جملة •• ولكني لا اظن اننا يمكن ان نعثر على كثيرات يرتضين لازواجهن مصير غاندي •

وفي لندن ذاتها قلعة الحضارة وذروة العقل في هذا العالم ، ما زالت المرأة تفكر بطريقة الرجل الشرقي الذي يحتفل بالجنس والوجبة الطيبة والرصيد الوفير في البنك والعربة الفخمة التي تقف على الباب !

وفي الريف الفرنسي ما زال الرجل يغار ويقتل زوجته كأي رجل صعيدي •

وفي محاولة الرجل المتحضر ان يبحث عن الحب الكبير وقع في الشذوذ الجنسي •

واذا به في الشذوذ الجنسي العشيق الاناني نفسه الذي يغار ويطلق الرصاص على عشيقه الخائن •

الانانية استبدلت موضوعاتها وهذا كل ما حدث •

بدلا من ان تستهدف موضوعا طبيعيا •• استهدفت موضوعا شاذا •• وهذا كل شيء •• مجرد تمرد (او هو في الحقيقة منتهى الاستسلام والخضوع لاستعباد الحواس) ••

الغرائز رفعت اعلاما مختلفة ولكنها الغرائز اياها •

اما الحب •• الحب الكبير •• فما زال شيئا نادرا •• واحدى طرائف هذا العصر •

بعض التواضع

نحن في عصر العلم ما في ذلك شك •• صواريخ •• طائرات •• اقمار صناعية •• ادمغة اليكترونية ••

ونحن في عصر الجهل ما في ذلك شك •• فكل هذه الوسائل والالمامات العلمية نستخدمها في قتل انفسنا وفي التجسس على انفسنا •

والذي لا يقتل يقول في غرور •• انا الذي سوف اسبق الى القمر •• انا شعب الله المختار •• انا على حق والآخرون على الباطل •• انا اعطي •• انا اخترع •• انا اصنع •• انا افضل •• انا ابيض •• انا جنس آري •• انا جنس سامي ••

وبين الغرور والاستعلاء والكبرياء والعدوان يضيع العلم ويفتضح العلم فاذا هو تفاخر الجهلاء بما يصنعون من لعب اطفال •

واجهل الجهل •• ان نجهل امرا جوهريا واضحا كالنهار •

ان يجهل العـالم العظيـم والمخترع العبقري انـه مخلـوق •• وانه يعيش علـى سلفة •• على قرض •• السنوات القليلة التي يعيشهـا هي قرض وسلفة بأجـل محدود •• وانه لا يملك هذا القرض ولا يستطيع ان يسدد اجله •

كل « نبضة قلب » وكل خفقـة انفاس •• وكـل خاطر •• وكل فكرة •• وكل خطـوة •• هي قرض •• سلفة •• هي قرش ينفق من الرصيد •

وهو رصيد لا نملكه ولم نبذل فيه جهدا •• وانما هو عطاء مطلق اعطي لنا منذ لحظة الميلاد •

المخترع لا يخترع وانما يجيئه الخاطر كما ينزل ندى الفجر على الزهر •

والشاعر لا يؤلف من عدم وانما يهبط عليه الهـام الشعر فيورق عقله كما يورق الشجر في الربيع •

فهل يمتلك الشجر ازهاره ام انها هبة الربيع •

والعلم ذاته هبة •

الكهرباء موجودة منذ الازل مـن قبل ان تكتشف بملايين السنين وهي التـي كانت تضيء السماء بالبروق والصواعق •

نحن لم نخترع الكهرباء ولم نأت بها فهي موجودة •

وكذلك اشعاع الراديوم وطاقـة الذرة ومغناطيسية الحديد •

كل هذه كنوز موجودة تحت يدنا ...
وهي بعض الهبات التي وهبناها دون ان نطلبها .
نحن العلماء لا ندرك هذا .. وانما نقول اخترعنا ابتكرنا صنعنا الفنا صنفنا .
ثم لا ندرك ما هو اخطر واكثر وضوحا وبداهة ... ان العسر الذي نعيشه هو ايضا هبة لم نطلبها ولم نجتهد فيها .

الجميلة لم تجتهد لتولد جميلة .
والقوي لم يجتهد ليولد قويا .
والحاد البصر لم يجتهد ليولد حاد البصر .
ونحن لا نقوم بصياغة هذا الشيء المعقد الملغز المعجز الذي اسمه الجسد الحي ... وانما هو الذي يقوم بصيانة نفسه بنفسه بأساليب محيرة .

نحن ننفق من شيك لا نملكه .. ومع ذلك نتبجح طول الوقت .. ونقول .. نحن اخترعنا نحن صنعنا .. نحن عباقرة .. نحن عظماء .. نحن على حق والآخرون على خطأ .. نحن بيض وهم حيوانات .. نحن جنس سامي وهم جنس منحط ثم نقتتل على ثروات لا نملكها ولا فضل لنا فيها جميعا .

ولا فضل لنا حتى في تكويننا الجسماني .
نحن مجرد مخلوقات تولد وتموت وتعيش على هبة

محدودة من الخالق الذي اوجدها ولـو كنا نملك انفسنا حقيقة لما كان هناك موت •

ولكن الموت هو الذي يفضح القصة •

هو الذي يكشف لنا ان ما كنا نملكه لم نكن نملكه•

الشيخوخة هي التي تفضح جمال الجميلة فاذا بجمالها هبة زائرة مؤقتة لا حقيقة باقية •

ولكننا نحن العلماء نجهل هـذه الحقيقة الاوليـة الشاخصة ملء العين كشمس النهار •

ولو ادركنا هـذه الحقيقة البسيطة لانتهت الحروب وحل السلام وملأت المحبة القلوب واشرق التواضع ليجمع العالم في اسرة واحدة •

لو ادركنا هـذه الحقيقة لالتفتنا التفاتة شكر الـى الوهاب الذي وهب •

هل اخطىء اذا اعتبرت هـذا العصر اظلم عصـور الجاهلية ؟!•

يُوجا

سعيت وراء علماء التشريح لاعرف ما هو الانسان ..
سرت وراء المشرط وهو ينقب في الاحشاء والمصارين واللحم والعظم .. وهو يفتح القلب ويتتبع الاعصاب حتى نهايتها .. وهو يقطع المخ نصفين ثم يقطع كل نصف الى نصفين .

وبعد ثلاثة آلاف صفحة من كتب التشريح لم أصل الى شيء وكأنما فتحت حقيبة فوجدت داخلها حقيبة ثم حقيبة وفي نهاية المطاف اكتشفت اني ما زلت واقفا في مكاني ادق على الباب نفسه من الخارج لم الج الى الداخل ابدا .

كنت طول الوقت اتحسس كسوة ذلك الانسان لاكتشف ان القناع الذي يحجبه ليس ثيابه وحدها .. وانما جلده ثوب آخر .. ولحمه وشحمه وعظامه كلها ثياب .. اما هو نفسه فبعيد .. بعيد .. تحت هذه الاقمشة السميكة من اللحم والدم .

قالت لي كتب التشريح ان الانسان مجموعة من الاحشاء في قرطاس من الجلد .

ولكنها لم تصف لي الانسان على الاطلاق وانما وصفت ثيابه . اما قلبه ، اما عواطفه ، فانها ليست في تلك الكتب .. انها فينا نحن الاحياء .

انها الزامر الذي ينفخ من الداخل في ذلك البوق الجسدي الذي يتألف من الفم واللسان والشفتين واليدين والرجلين فتنطق وتتحرك كأنما هي دمى خشبية تحركها خيوط خفية من وراء خباء .

انها العاطفة .. الارادة .. الروح .. النفس .. الـ انا .. سمها كما تشاء .. ولكنها دائما غاية الوحدة والبساطة .

وراء هذا العديد المتعدد من الاعضاء هناك وحدة .

هناك دائما واحد فقط يتكلم من داخل المعمار الجسدي المعقد التركيب المتعدد النوافذ والشرفات .. واحد فقط بالرغم من هذه الالوف المؤلفة من الانسجة والملايين بلا عدد من الخلايا .

فاذا نظرت الى الطبيعة حولك بما يتعدد فيها من انسان وحيوان ونبات لمست مرة اخرى نوعا ثانيا من الوحدة .. فهذا الشتيت المختلف من اشكال الحياة يخفي وراءه وحدة .

ليست مصادفة ان تركيب جسمي وتركيب جسمك واحد .

ولا هي مصادفة اننا نحن ، كلانا ، لنا رئتان مثلما للحصان والحوت والعصفور .. وان رقبة الزرافة على طولها بها سبع فقرات مثل رقبتك القصيرة تماما .. وان ذيل القرد لك ذيل مثله ضامر متدامج ملتحم ، في مؤخرتك .. وبالمثل أجنحة الخفافيش هي أذرع مثل اذرعك لها العدد اياه من الاصابع والعظام والمفاصل كل ما تمتاز به ان جلدها مشدود عليها كالستارة .

وانت والشجرة تتألفان من المواد ذاتها .. كربون وماء واملاح معدنية .. وكلاكما تتحولان بالاحتراق الى فحم .

وكل انواع الحياة تنهدم بالموت فتستحيل الى تراب .

اكثر من هذا ، يقول لك الفلكي . ان هذا التراب يحتوي على المواد نفسها التي تتركب منها الشمس والنجوم والكواكب .. وانك مهما اوغلت في السماء بين النجوم تجد دائما الشيء نفسه .. المواد ذاتها ..

كل العالم من مادة واحدة اولية .

لا يمكن ان تكون كل هذه مصادفات .

وانما هي اصبع تشير الى ان هناك وحدة نسيج في

هذا الكون المتسع العظيم ، وانه بالرغم من الكثرة الظاهرة والتعدد والاختلاف في الاشياء فانها في الواقع ليست مختلفة •• وانما هي مجرد عمائر وتراكيب مختلفة لشيء واحد •

كما تظهر الطاقة مرة على شكل كهرباء ومرة على شكل حرارة ومرة على شكل ضوء ومرة على شكل مغناطيسية ، وهي دائما الشيء الواحد ذاته •

الوحدة ••

هذا هو موضوع اليوجا •

والمعنى الحرفي لكلمة يوجا بالهندية هو « الاتحاد وادراك الوحده في الاشياء » •• ان لا تنظر الى الدنيا على انها انا وانت وهو وهي وهم •• ثم تتقاتلون جميعا•• فهذه خدعة •• وانتم جميعا واحد وما يقع للآخر يقع عليك من حيث لا تدري •• والالم الذي توقعه بالآخرين يجرحك حيث لا تحس في اعمق الاعماق •

هذا الصراع بينك وبين الآخرين هو تخريب اساسي لفطرة واحدة •

اذا اردت ان تعيش بكل وجودك فعليك ان تفتح ذراعيك لتحتضن كل شيء •

وحيثما توجهت فلن تكون في غربة فالطبيعة حولك هي انت •• والناس هم انت •• والوردة هي انت •• والنجوم انت •

انت وانا وهو وهم شيء واحد .

هل تستطيع ان تدرك هذه الوحدة ؟

علوم اليوجا تقول انك لا تستطيع ان تدركها الا اذا تحررت من تقاليدك .. واخضعت جسدك وعواطفك وعرائزك وعقلك تماما .

اذا اردت ان تسمع صوت الواحد في داخلك فلا بد من اسكات صوت المتعدد اولا .. لا بد من اسكات صوت الجسد والنفس والغريزة والرغبة والعقل .

واخضاع الجسد تختص به علوم « الهاتايوجا » .. وهي التمرينات الرياضية المعروفة .

واخضاع العقل تختص به علوم « الراجايوجا » .. وهي تمرينات على التأمل والتركيز .

واذا استطعت اسكات كل شيء فسوف نسمع من اعماق الصمت في داخلك صوت الواحد .

سوف تشعر بالقرابة الحميمة بينك وبين الاشياء .. سوف يعزف في داخلك لحن الانسجام بينك وبين العالم اذ تدرك التوافق العميق بين عناصرك وعناصره .. وتسودك طمأنينة قدسية فلم يعد هناك داع للتعجل .. ما نفوتك باليمين سوف تحصل عليه باليسار وفي الهند يسمون هذا الواحد « اتمان » .. وفي صلاة هندية قديمة لهذا الواحد يقول الشعر السنسكريتي :

اذا ظن القاتل انه قاتل

والمقتول انه قتيل
فليسا يدريان ما خفي من اساليبي
حيث اكون الصدر لمن يموت
والسلاح لمن يقتل
والجناح لمن يطير
وحيث اكون لمن يشك في وجودي
كل شيء حتى الشك نفسه
وحيث اكون انا الواحد
وانا الاشياء .

وكأنما شعر جميع المفكرين بهذا الواحد الخفي وحاول كل منهم ان يعبر عنه بطريقته .. في فلسفة شوبنهور كان اسمه « الارادة » ، وفي فلسفة نيتشه كان اسمه « القوة » ، وفي فلسفة هيجل « المطلق » ، وفي فلسفة ماركس « المادة » ، وفي فلسفة برجسون « الطاقة الحية » ، وفي الاديان السماوية اسمه الله ..

اتفقت جميع الاصابع التي تشير على ان هناك شيئا داخل خباء ذلك الكون يحرك خيوطه .. وكل الخلاف هو خلاف اسماء .

ولهذا تقول علوم اليوجا .. لا تحاول ان تسمي ما لا يمكن تسميته ..

تأمل .. لا تنطق بحرف .
عليك بالاصغاء الى صوت الصمت .

اسرار الحروف

لكل حرف من الحروف سر ...

حرف مثل الحاء تجده يدخل في كـل ما هو ساخن ملتهب مثل .. حب ، حرب ، حريق ، حارق ، حار ، حراق، حريق ، حسى ، حرارة ، حامي ، حك ، حكة ، والطفل حينما يلمس سطحا ساخنا يصرخ في تلقائية .. أح ، لا يرد على لسانه الا حرف الحاء ... فينطق الهاما بلا تعلم .

ان في ذات الحرف سر ومعنى .

وحرف مثل الضاد تجده يدخـل في كلمات الشدة والغلظة والاذى مثل .. ضر ، وضرر ، وضغن ، وضرب ، وضراوة ، وضيق ، وضائقة ، وضنى، وضنك ، وتضعضع.

ان في ذات الحرف سر لا شك فيه .

وحينما وقف المفسرون امـام الحروف الواردة في القرآن مثل الم ... كهيعص .. طسم .. ن .. ص .. حاروا في معانيها واختلفوا .. البعض قال انهـا حروف يتألف منها اسم الله الاعظم .. البعض قال انها صنوف من

القسم اقسم بهـا الله كما نقيم نحن بالكعبـة والكتاب الشريف •• والبعض قال انها رموز كـل حرف منها يرمز الى شيء •• الالف مثـلا ترمز الى الله والميم ترمز الى محمد (صلعم) •• تماما كما نقول « صلعم » بدلا مـن صلى الله عليه وسلم ، وكما نقـول ج•ع•م• بدلا مـن الجمهورية العربية المتحدة •

والبعض قال ان الله قدم بهـا السور ليقول لنا •• هذه هي الحروف التي خلقت منها القرآن •

والبعض قالَ •• لا أعلم •

ولكني اعتقد ان مفتاح معناها فيما قدمت في بداية مقالي •• من ان كل حرف له سر ومعنى خاص به وذاتية•• كل حرف له مكامن ومغاليق •

هل كـانت مصادفـة اننا نسمي الوالد فـي لغتنا العربية •• اب ••

وفي اللغة الفرنسية •• بابا •• وفي اللغة الزنجية•• بوبا ••

وهل هي مصادفة ان الوالدة باللغة العربية •• ام •• وبالانجليزية ماما •• وبالفرنسية مامون •• وبالزنجية •• موما ••

كما ان الكهف بالعربية كهف وبالانجليزية Cave وبالايطالية Cava •• وهو نفس النطق تقريبا •

انها ليست مصادفات .

انها التقت في التركيب بالرغم مـن اختلاف اللغات لان الحروف لها ذاتية واحدة .

والحروف واحدة في جميع اللغات .

وهي مخلوقة ومنزلة من ضمن مـا خلق الله وانزل علينا .. معـان واسرار وارزاق .. ونحن لـم نخترعها اختراعا .

والقرآن يقول لنا ان الله علم آدم الاسماء كلها .

والاسماء قد تكون اللغات او الحروف او المعارف او العلوم او هي جميعها ..

وقد تعلمت من طول التأمل الا استهتر بحرف ولو كـان حرفا واحـدا .. فان الحروف تؤلف الكلمات .. والكلمات تنقل الجبال وتهـدم الامبراطوريات وتبنـي حضارات وتدك حضارات ...

وكلمة تخرج من فمك قد يكون فيها موتك او ميلادك

والله خلق العالم بكلمة .. كن ..

وبين الكاف والنون ولد الكون ..

وفي الكاف الالهية اسرار ..

وفي النون الالهية اسرار ..

وبين الكاف والنون طلاسم مطلسمة لا علم لاحد بها

ونحن لم نكتشف من اسرار الحروف ووظائفها الا اقل القليل ..

ومن الحروف التي نعلمها يمكن ان توجد لغات لا نعلمها •• غير العربية والانجليزية والفرنسية والالمانية وغير اللغات التي نتبادلها على الارض •••

والحروف مثلها مثل الارقام جاءتنا الهاما من الواحد الى العشرة •• لم نخترعها وانما ولدنا بهـا •• وبالمثـل اوليات الحساب •

٢ + ٢ = ٤ حقيقة ولدنا بها •

وكل ما يحدث في تعلم جدول الضرب اننا نجاهد لنتذكره فكل ما فـي جدول الضرب عبـارة عن اوليات مكنوزة ومذخورة في عقولنا منذ الميلاد •

ومن الحروف والارقام يتألف العـالم •• وتنبنـي القوانين التي تمسك بالنجوم في افلاكهـا والشموس في مجراتها ••

قانون عدم المساواة

الدنيا ليس فيها مساواة .

لا مساواة في اي شيء .

كل وردة لها رتبه مختلفة من حيث الشكل والرائحة والجمال . لا تتساوى وردتان .

وفي نفس عائلة القطن نجد السكلاريدس .. وجيزة ٧ .. وجود فير .. وفولي جود فير .. وطويل التيلة وقصير التيلة .. لا يتساوى اخوان في العائلة الواحدة .

وفي الفاكهة نجد في عائلة واحدة كالبلح مثلا عشرات الرتب والدرجات والاصناف .. الزغلول والسماني والحياني والاسيوطي والرشيدي وبلح عيشا .. وكل صنف له طعم ونكهة ومذاق .

وعلماء الحشرات يصنفون لنا من الحشرة الواحدة كالنمل اكثر من الف نوع وكل اسرة من اسر النمل يقولون لنا ان فيها اكثر من مائة مصنف ومصنف .

وفي الانسان يزداد التفاوت والتفاضل •• فنجد الذكي والغبي والاحمر والاسود والاصفر والابيض والاشقر والطويل والقصير والسمين والاصلع والكثيف الشعر •• ونجد من يولد بحنجرة من ذهب ومن يولد بحنجرة من خشب •• ومن يولد جميلا ومن يولد قبيحا••

بل ان كل انسان يحمل بصمة اصبع مختلفة •

وكل انسان هو رتبة في ذاته •

كل انسان يتسلم لحظة ميلاده بطاقة تموين واذن صرف وشيك وثروة من المواهب والتسهيلات خاصة به •

واكثر من هذا يولد كل مولود بعدد من خلايا المخ محدود غير قابل للتجدد او التكاثر وما يموت من هذه الخلايا لا يستحدث •• ولكل واحد منا عدد من هذه الخلايا هي كل ثروته •• وكل واحد يوهب عددا من هذه الخلايا مختلفا عن الآخر •

ومعنى هذا ان الدنيا كلها تقوم على قانون التفاضل والتفاوت •• وان عدم المساواة هو القاعدة في كل شيء••• في النبات والحيوان والانسان والجماد •• حتى الجماد كل مادة فيه لها بلورتها الخاصة ولها وزنها الذري ووزنها الجزئي ولها هندستها الخاصة في توزيع الالكترونات وعددها •

لا مساواة على الاطلاق •

هكذا اراد خالق الكون لخلائقه .

هو اراد لحكمة يعلمها ان يخلقنا درجات .

ولعله خلق فينا القوي والضعيف ليختبرنا وليظهرنا على نفوسنا .

هل يأكل القوي الضعيف ام يحنو عليه ويعطف عليه ويساعده .

هل يدرك القوي ان قوته من الخالق وانها هبة بأجل وان مصيرها الزوال .. لو ادرك هذا فانه سيكون المؤمن الذي يوظف قوته لنجدة الضعيف لانه يعلم انه سيصبح يوما ما اضعف منه .

ام انه سيخيل اليه ان القوة قوته هو والعنفوان عنفوانه هو ويمضي يضرب باليمين وبالشمال .

لو فعل هذا فهو الملحد المنكر الذي لا يتصور وجودا لقوة اعلى منه .

والواقع ان الفرق بسيط .. فرق شعرة .. بين ان تحس بانك قوي .. وبين ان تحس انك وهبت هذه القوة .. وان قوتك عطية ومنحة .

ولكن هذا الفرق البسيط هو فرق هائل بين عقليتين وبين سلوكين .. وهو مفرق الطريق بين الايمان والالحاد .

ويبدو ان الدنيا هي الفرصة التي اتاحها الخالق لمخلوقاته لتختار طريقها بالفعل .. ليظهرنا على نفوسنا .. ويعرفنا على حقيقتنا .

وهو يعلم مـن البداية استحقاق كـل واحد منا وقيمته •• ولكن نحن لا نعلم •• ويتصور كل منا انـه الكامل الفاضل الذي يستحق الجنة •• ولهذا اراد بالدنيا ان تكون المحنة والامتحان الذي يعرف فيه كل واحد نفسه وقيمته •• حتى اذا انتهت الدنيا وانتهى الزمن •• وأعيد ترتيب النفوس في درجاتها الحقـة •• ونزلت النفـوس منازلها ومراتبها الصحيحة •• علمت كل نفس انه العدل•• وعلم الاسفل انه الاسفل بالفعل •• وانه لابث في هـذه المنزلة السفلى الى الابد •• ولا ظلم في ذلك •• لان هذا مكانه •• وهذا هو الجحيم وهو حق • كما ان الجنـة حق •• وما الجحيم الا الرتبة السفلى وما الجنة الا الرتبة العليا وهذا هو التفاوت والتفاضل الطبيعـي بين اعمـال تتفاوت وتتفاضل بطبيعتها •

وقانون التفاوت والتفاضل هو قانون الوجود وهو العدالة بعينها •

وانما الظلم بعينه ان يتساوى غير المتساوين •

وقصارى العدل الارضي هو ان يساوى بين الفرص والتسهيلات وان يمنـح كـل فرد حق الدواء والكساء وفرصة التعلم •• ولكنـه لا يستطيع ولا يصـح له ان يساوي بين الناس ذواتهم •

والى ان تنتهي الدنيا سوف يظل هناك الاعلى والادنى.

وفي العالم الآخر سوف يكون هناك الاعلى والادنى.

وكل الفرق ان الارواح في عالم الابد سوف تنزل منازلها الحقيقية .. بينما في الدنيا يحاول كل انسان ان يغتصب ما لا يستحق ويحاول ان يعلو على الآخر غدرا وغيلة .

مغرور جدا

الانسان مغرور جـدا ينظر الى نفسه باعتباره مركز الكون ويتصور ان النجوم علقت كالفوانيس في السماء لتضيء له طريق العودة الى البيت وهو سكران .

واذا كانت في الدنيا بهائم فهي مخلوقة ليركبها .

واذا كانت للخيول ذيول فليصنع منها المنشآت .

واذا كانت الزهور تعشش على شباكه فقد فعلت هذا مع سبق العمد والترصد لتقدم له فروض التحية والولاء وتضرب له سلاما .

ودود الارض منتظر في الطـين طـول الوقت حتى يلتقطه بيديه الكريمتين ويجعل منه طعما لصيد السمك .

والغزلان الجميلـة تسرح في البراري في انتظـار رصاص بندقيته المكرمة لتسقط عند قدميه مهللة مكبرة .

والذهب في اعماق المناجم ينتظر بفارغ الصبر اللحظة السعيدة التي يتكوم فيها في خزائنه او يتبعثر على مائدة قمـاره .

وابليس نفسه خلق ليكــون في خدمته في البارات والنوادي الليلية والبيوت السرية ..

الكل يعمل من اجله .. هو .. سيد الخلائــق .. الذي خلقه الله على صورته ..

ومن الطبيعي ان يفكر الفلكيون البسطاء في العهــد الغابر بنفس الطريقة فيتصورون ان الكرة الارضية هي ايضا مركز الكون تدور حولهــا الشمس ونجــوم الفلك العظيم كله .

ولكــن الامر تغير كثــيرا حينما انطلق التليسكوب الحديث يتأمل السماء وبــدأ الانسان يبحث عن مكانــه الحقيقي في هذه المتاعة التي اسمها الدنيا .

ومن هذا اليوم فقد الانسان مركزه وسقط من حالق وصفعته الحقيقة المرة تلو الحقيقة المرة .

اكتشف ان الشمس ليست من توابع الارض وانما العكس هو الصحيح والارض هي التي تدور مــع ثمانية من توابع أخرى في فلكها ..

ثم اكتشف ان المنظومة الشمسية كلهــا تدور حول مجمعة نجمية هائلة وتقطع دورتها الكاملة كل ٢٢٥ مليون سنة حولها ..

هذه المجمعة النجمية الهائلة هي بقية عائلــة الشمس من النجوم واسمها المجرة وتتألف من حوالي مائــة الف

مليون نجم وكثير من هذه النجوم له توابع وكواكب مثل الشمس •

الى هذه الدرجة تضاءلت الارض نسبة الى الكون وتضاءل الانسان من فوقها•• فاصبحت ذرة رمل فيمتاهه•

ولكن الامر تفاقم اكثر واكثر وازداد حـال الارض مهانة وحال الانسان ذلا حينما راح يبحث ابعد وابعد في اعماق السماء •

اكتشف ان ما يراه في السماء ليس مجرة واحـدة وانما عديد من المجرات مرتبة في عناقيد ••

عناقيد من المجرات •

عنقود مجرتنا يحتوي على حوالي ١٧ مجرة وهناك عناقيد تحتوي مئات المجرات ••

ويبلغ عدد المجرات التقريبي في مدى الرؤية الممكنة حوالي مائة الف مليون مجرة •

وفي كل مجرة مائة الف مليون نجم ••

ولكل نجم كواكب •

والارض بجلالـة قدرها ليست سوى احد هـذه الكواكب •• والانسان ليس سوى احد المخلوقات علـى هذه الارض •

وبهذا فقد الانسان كرامته تماما •

لم تبق له الا كرامة ادراك هذا كله •• والا ان يعترف

في امانة وصدق بمكانه وقدره الحقيقي في فضاء الكون وقد تضاءل الى برغوث واتفه من برغوث .. مجرد هيأة معلقة في ظلمة السماء هو والارض التي يقطن عليها .

والعلم لم يتركه في حاله .

وانما راح العلم يقدم الدليل خلف الدليل على احتمال وجود الحياة في كواكب اخرى .. بل وفي النجوم ايضا.. بل وفي كل مكان .

فهناك كواكب ظروف الطقس والجو فيها مشابهة لظروف الارض .. ثم انه ليس من المحتم ان تكون كل حياة هي حياة من لحم ودم معتمدة على الاكسجين والماء ودرجة الحرارة المعتدلة ..

من الممكن ان تكون للحياة صور اخرى تعتمد على غازات اخرى لتتنفس وتعتمد على درجات حرارة عالية مناسبة لتقوم بوظائفها .

ممكن ان توجد مخلوقات اجسامها من الالكترونات والايونات والحرارة الملائمة لوظائفها هي الحرارة في جوف الشمس ..

لا توجد حدود لتصانيف الحياة الممكنة .

وليس هناك معنى لان نحدد امكانيات الحياة بخيالنا نحن .. هذا غرور انتهى زمنه .

وهناك علامات تبعث على الشك والريبة . فالنجوم

والكواكب كلها ترسل اشارات لاسلكيــة وبعض هــذه الاشارات لها نظام خاص •• ومن الممكن ان تكون شفرة ولغة لا نفهمها •

وعلى المريخ خضرة تنحسر تبعا لفصول اشبه بالربيع والخريف عندنا •• وفيه طواقي من الثلج تذوب من على القمم في فصل الصيف •

وفي اعماق السماء وبين النجوم والكواكب التي لا حصر لها تتباين الظروف في تباديل وتوافيق لا حصر لها ايضا ويمكن ان تنشأ حيوات من كل جنس ونوع •

★ ★ ★

وفي الكون الاصغر ما هو اعجب من الكون الاكبر •

في قطعة حديد لا تتجاوز رأس الدبوس حجما عالم من الذرات كل ذرة اشبه بفلك مصغر نواة تدور حولهــا الالكترونات مثل الشمس وكواكبهــا ••.وفيها قوة لــو انطلقت يمكن ان تغرق قارة باسرها في قاع المحيط •

ثم ان نواة الذرة ليست مجرد نواة بسيطة كما كان معتقدا •• وانما هي منظومة شديدة التعقد مؤلفة من اكثر من ٣٢ جسيما مختلفا •

ثم هناك اكثر من نوع مــن المادة شكرا للعلم الذي عقد لنا المسائل اكثر فالمادة في نظره لــم تعــد هي المادة

الواحدة وانما هناك مادة موجبة ومادة سالبة •• مادة عادية ومادة مضادة •

والمادة المضادة لها قوانين مضادة لكل ما نعرف من قوانين فاذا كانت تفاحة نيوتن تسقط من على الشجرة على الارض تبعا لقانون الجاذبية فان التفاحة المصنوعة من المادة المضادة تطير مبتعدة عن الارض وملقية بنفسها في الفضاء في لحظة انفصالها من شجرتها وتبعا لقانون الجاذبية يضا •• لان قصورها الذاتي سالب وليس موجبا •• الخ •• الخ •• الخ ••

وهكذا يمكن ان تتخيل لنفسك عالما عجيبا من المادة المضادة يسير فيه كل شيء بالعكس حتى الزمن يسير لعكس فيتطور الى الماضي بدلا من المستقبل •

والعلم يمكن ان يقودك الى الجنون اذا لم تترفق بنفسك وتأخذ منه جرعة جرعة حسب طاقتك •

★ ★ ★

والعلم لا يستبعد احتمال ان تكون الاطباق الطائرة هي بداية غزو فلكي للارض من العالم الخارجي •• محاولات اولى استكشافية • وكل شيء اصبح ممكنا بعد ان سقط الانسان من برجه العاجي وفقد غروره الساذج الذي كان يتصور فيه انه جالس على عرش الكون •

وغريب ان يظل الغباء مسيطرا بعد كل هــذا ويظل الانسان يتصرف بعقلية ارضية محلية فيقاتل جاره علــى قطعة أرض .. وتذبح دول كبرى غنية دولا صغرى فقيرة لتستعمرها وتحتلها بينما كنوز الكون كله مفتوحة امامها والعلم مفتاحها السحري في يدها .. وفي امكانها ان تمتلك المحال وتغزو المجهول وتضع يدها علــى التراث اللانهائي للقوة والمعرفة .

ولكن يبدو ان ذلك المغرور بالرغم من كل شيء لم يفقد غروره بعد وهو اكثر من مغرور .. فهو غبي ايضا محدود الافق .. جاهل بالرغم من وسائل العلم في يده .

الطاقة الذرية التي اكتشفها سوف يقتل بهــا نفسه بدلا من ان يفتح بها الكون ..

ووسائل الدمار سوف يوجهها الى نفسه بدلا من ان يوجهها الى المرض الوباء والشيخوخة .

واذكر الان كلمة لحكماء اليوجا الهنود .. ان العالم مبني على العدل ولا ظلم هناك .. وما ينزل بالانسان مــن قدر هو بالفعل يستحقه .. وكما يفكر الانسان يكون .. وكما تضمر في نفسك تسير حياتك ..

فهل سوف نثبت بافكارنا وافعالنا نحــن المغرورون الاغبياء اننا لا نستحق الحياة .

وهل نحن ننزل بانفسنا العقاب كل يوم وننفذ بايدينا ناموس العدالة .

وهل جنسنا الى فناء ٠

ام ان المنقذ سوف يظهر في اللحظة الاخيرة ٠

المخلص الذي سوف يسمع الكل كلمته ٠

ان اجراس العلم تدق الانذارات كل يـوم ولا اذن نسمع ٠٠ والمفكرون يدقـون على القلوب ٠٠ والقلوب مغلقة ٠٠ ربما لان ضمائر هؤلاء المفكرين انفسهم يسكنها نفس الزيف والنفاق والغرور ٠٠ وشعاراتهم لا تنفذ الى القلوب لانها شعارات المرتزقة واكاذيب المنتهزين ٠

والانسان يتحدث بغرور عن الاغبياء والاذكياء ٠٠ عن البيض والسود ٠٠ عن المتقدمين والمتخلفين ٠٠ وهو لا يدري ان الكل سود والكل اغبياء والكل متخلفـون والفرق بينهم هو فرق في عدد المخالب التي يقتل بها كل واحد نفسه ويقتل بها اخاه ٠

العلم ينبت مزيدا من المخالب ٠

والتقدم ينبت مزيدا من المخالب ٠

واذا كان العلم يعطي مزيدا وفائضا من القمح فانهم يلقونه في البحر حتى يزيد سعره ٠

وهذه هي اخلاق انسان هذا العصر ٠

متى يفيق هذا الانسان ويعرف نفسه ويعرف الهوة التي يسير اليها ٠

مخير ام مسير

يسألني القراء دائما في استغراب ... كيف وصلت الى قرارك الذي تردده في كل كتبك ومقالاتك بان الانسان مخير لا مسير .

كيف يكون الانسان مخيرا وهو محكوم عليه بالميلاد والموت والاسم والاسرة والبيئة ولا حول له ولا قوة ولا اختيار في هذه الاشياء التي تشكل له شخصيته وتصرفاته .

والقراء يقعون في خطأ اولي منذ البداية حينما يقيمون علاقة حتمية بين البيئة والسلوك .. وبين الاسرة وتقاليدها وبين الشخصية ... وهو تفكير خاطىء ... فلا توجد حتمية في الامور الانسانية ... وانما يوجد على الاكثر ... ترجيح ... واحتمال ... وهذا هو الفرق بين الانسان والجماد ... وهذا هو الفرق بين الانسان وبرادة الحديد .

برادة الحديد تطاوع خطوط المجال المغنطيسي في

حتمية وجبرية وتتراص في خطوط المجال حتما حينما نرشها حول المغنطيس .

اما الانسان فان علاقته بظروفه لا تزيد عن كونها احتمالا او ترجيحا .

الابن الذي ينشأ في عائلة محافظة محتمل ان ينشأ محافظا هو الآخر مجرد احتمال ... وكثيرا ما يحدث العكس فنرى هذا الابن وقد انقلب متمردا ثائرا على التقاليد محطما لها ...

وهذا هو الفرق بين المسائل الآلية الميكانيكية والمسائل الانسانية ... ونفس الكلام يقال في البيئة ...
البيئة تشكل الانسان ... ولكن الانسان ايضا يشكل البيئة .
ونظرة سريعة في المجتمع العصري حولنا سوف ترينا كيف اخضع الانسان مشاكل الحر والبرد والمسافات بعقله وعلمه واستطاع ان يسودها فهو يكيف الهواء بالمكيفات وهو يهزم المسافات بالمواصلات السريعة والبرق والهاتف .
الانسان ليس كتلة هلامية سلبية تشكلها حتميات البيئة ... ولكنه ارادة صلبة في ذاتها لها حريتها في توجيه الاحداث .
وهذا هو الانسان الذي ولد طفلا تحكمه اسرته وبيئته ومقتضيات اسمه وتقاليده ... ها هو ذا يهاجر

ويغير اسمه وبيئته واسرته وينتقل الى مجتمع جديد فيصنع انقلابا في هذا المجتمع الجديد ويغيره من اساسه .

وها هو ذا يموت فيترك كتابا .. فاذا بالكتاب يغير التاريخ .

وصحيح ان الانسان قليل الحيلة في الطريقة التي يولد بها وفي الطريقة التي يموت بها ... ولكنه بين ميلاده وموته يصنع حضارة ... الله اعطاه القدرة على ان يبني ويهدم ويحرر ويتحرر ويفكر ويبتكر ويخترع ويفجر ويعمر ويدمر ... وسلمه مقاليد الخير والشر وحرية الاختيار .

وحواجز البيئة وضغوط الظروف لا تقوم دليلا على عدم الحرية بل هي على العكس دليل على وجود هذه الحرية ... فلا معنى للحرية في عالم بلا عقبات ... وفي مثل هذا العالم الذي بلا عقبات لا يسمى الانسان حرا اذ لا توجد لرغباته مقاومات يشعر بحريته من خلال التغلب عليها .

والحرية لا تعبر عن نفسها الا من خلال العقبات التي تتغلب عليها .. فهي تكشف عن نفسها بصورة جدلية من خلال الفعل ومقاومة الفعل .

ولهذا كانت الضغوط والعوائق والعقبات من ادلة الحرية وليس العكس .

والفيلسوف الغزالي يحل المشكلة بان يقول ان الله حر مخير مطلق التخيير والمادة الجامدة مسيرة منتهى التسيير .. والانسان في منزلة بين المنزلتين ... أي انه مخير مسير في ذات الوقت ... مخير بمقدار مسير بمقدار .

وتوضيحا لكلامه أقول ان الانسان حر مطلق الحرية في منطقة ضميره ... في منطقة السريرة والنية ... فأنت تستطيع ان تجبر خادمك على ان يهتف باسمك او يقبل يدك ولكنك لا تستطيع ان تجبره على ان يحبك ... فمنطقة الحب والكراهية وهي منطقة السريرة منطقةحرة حررها الله من كل القيود ورفع عنها الحصار ووضع جنده خارجها ...

لا يدخل الشيطان قلبك الا اذا دعوته انت وفتحت له الباب .

وقد اراد الله هذه النية حرة لانها مناط المسؤولية والمحاسبة .

اما منطقة الفعل فهي المنطقة التي يتم فيها التدخل الالهي عن طريق الظروف والاسباب والملابسات ليجعل الله امرا ما ميسرا او معسرا حسب نية صاحبه .

« فأما من اعطى واتقى وصدق بالحسنى فسنيسره لليسرى واما من بخل واستغنى وكذب بالحسنى فسنيسره للعسرى » .

سورة الليل

يمهد الله اسباب الشر للاشرار ••• ويمهد اسباب الخير للاخيار ••• ليخرج كل منا ما يكتمه ويفصح عن سريرته ونيته ويتلبس بفعله •

وبهذا لا يكون التسيير الالهي نافيا او مناقضا للتخيير فالله يستدرج الانسان بالاسباب حتى يخرج ما يكتمه ويفصح عن نيته ودخيلته ويتلبس باختياره •

الله بارادته يفضح ارادتنا واختيارنا ويكشفنا امام انفسنا •

ومن ثم يكون الانسان في كتاب الله مخيرا مسيرا في ذات الوقت•• دون تناقض ••• فالله يريد لنا ويقدر لنا حتى نكتب على انفسنا ما نريده لانفسنا وما نخفيه في قلوبنا وما نختاره في اعمق الاعماق دون جبر او اكراه وانما استدراجا من خلال الاسباب والظروف والملابسات •

وفي امكان الواحد منا ان يبلغ ذروة الحرية بأن تكون ارادته هي ارادة الله واختياره هو اختيار الله وعمله هو امر الله وشريعته •• بأن يكون العبد الرباني الذي حياته هي طاعة الناموس الالهي ••• فيعبد الله حبا واختيارا لا تكليفا ••• فيكون الحر الذي يقول عنه الله :

«عبدي اطعني أجعلك ربانيا تقل للشيء كن فيكون» •

انه الحب الذي قال عنه المسيح :

« لو كان في قلبك ذرة ايمان وقلت للجبل انتقل من مكانك لانتقل من مكانه » .

كما يحدث ان نعطي من ذات نفوسنا لمن نحب كذلك يعطي الله من ذاته لاحبابه فيحقق لهم ما يشاءون فيكونون الاحرار حقا مثلما هو الحر حقا .

هل كانت صدفة

يحلو دائما للمفكر المادي ان يقول ان الانسان خلق صدفة ...

من اخلاط المواد المتخمرة في طين المستنقعات منذ خمسة الاف مليون سنة حدث بالصدفة تفاعل ادى الى نشأة الخلية ... وهو لا يقول لنا كيف حدث هذا التفاعل ولا كيف حولت الصدفة الطين الى خلية حية .. وانما هو يقول ان هذا الامر لا بد قد حدث .. واننا لا يجب ان ندهش فالخمسة الاف مليون سنة زمن طويل جدا .. ولو ان قردا جلس يدق على آلة كاتبة ويلهو بأصابعه مدى خمسة الاف مليون سنة من الزمان فانه لا بد سيحدث بالمصادفة ان يكتب بيتا لشكسبير .

حسنا ... صدقنا وآمنا انه بصدفة فردية لا أحكام فيها ولا تدبير تحول الطين الى خلية حية... وماذا بعده...

ان المفكر المادي يعود فيهرش مخه ليقول انه بصدفة

اخرى تطور الكائن الوحيد الخلية الى كائن متعدد الخلايا .

ثم يعود فيهرش رأسه ليقول انه بخبطة عشوائية ثالثة تفرع طريق الحياة الى سكتين .. سكة الحياة النباتية التي اختارت النمو الثابت في الارض.. وسكة الحياة الحيوانية التي اختارت الحركة وراحت تقتحم البر والبحر والجو بنسلها المغامر الطموح .

وهو لا يكتفي بهذه الصدف وانما يعود فيهرش رأسه ليختلق سلسلة من المصادفات قادت التطور من حيوانات البحر الرخوية الهلامية الى الحيوانات القشرية الى الاسماك الى الضفادع الى الزواحف الى الطيور الى الثدييات .

ثم يعود فيهرش قفاه ويخرج بمجموعة مصادفات اخرى ليحول بها الكلاب الى حمير الى خيول الى زراف الى نسانيس الى قرود .

وهي مصادفات يخجل مؤلف سينمائي درجة ثالثة يكتب وهو مخمور فيلما لبنانيا ساقطا ان يكتبها في روايته .

ولكن المفكر المادي الذي لا يؤمن بالخجل والذي يعتقد انه حفيد بالصدفة لجد حمار يعود فيخلق سيلا من المصادفات يحول بها الشمبانزي الى غوريلا والغوريلا الى انسان .. ثم يفرك يديه ويتنفس الصعداء فقد انتهى من المشكلة واثبت ان الانسان خلق بالصدفة ويموت بالصدفة.

ولا افهم لماذا لا يتركنا المفكرون الماديون نعيش اعتباطا وعلى مزاجنا ما دمنا قد جئنا بالصدفة ونموت بالصدفة وما دامت الحياة من بدئها الى نهايتها خبط عشواء في خبط عشواء .. وليس بعدها الا التراب .

لماذا يثيرون هذه الحروب الدموية ويضربون الناس بعضهم ببعض في معركة مذاهب لا نهاية لها ؟

لماذا هذا العنف والقهر والجبر والسحق ؟

ومن أجل ماذا ولا حق هناك .. انما هي مهزلة من المصادفات جاءت بنا الى الدنيا بدون حكمة ثم هي تقضي علينا بدون معنى .. ثم يكون الصمت والتراب والعدم بلا بعث وبلا حساب .. هكذا يقولون .. وهكذا يعتقدون .. فلماذا هذا الجنون ولماذا قتل الناس وذبح الناس .. اذا كانت هكذا عقيدتهم ...

ولن اناقش حكاية الصدف الساذجة فهي لا تحتاج الى مناقشة ...

ويكفي ان ننظر الى جناح فراش بنسجه والوانه ونقوشه لنعرف انا امام فنان مبدع وريشة ملهمة لم تترك بقعة واحدة ولا خطأ واحدا للصدفة .. وانما هي سمفونية رائعة من الخطوط والالوان .

بعوضة تافهة تضع بيضها على الماء فنكتشف حينما ننظر ان كل بيضة لها كيسان للطفو ...

من علم البعوضة قوانين ارشميدس لتصنع هذه الاكياس الهوائية لتعويم بيضها على الماء ؟

أشجار الصحارى وهي تنثر بذورها•• فاذا لكل بذرة أجنحة ••

من علم الاشجار قوانين الحمل الهوائي ؟

وكيف ادركت تلك الاشجار التي بلا عقل ان على بذورها ان تقطع مئات والاف الاميال في الصحارى بحثا عن ماء فزودتها بهذه الاجنحة •

من علم الكتكوت ان يدق بمنقاره على آضعف مكان في البيضة ليخرج ؟

من علم الحشرات فنون التنكر فراحت تتلون بألوان بيئاتها لتختفي عن الانظار ؟

من علم النحل قوانين العمارة لتبني هذه البيوت السداسية الدقيقة الجميلة من الشمع بدون آلات حاسبة وبدون مسطرة ؟

من يهدي الطيور في رحلة الهجرة السنوية من نصف الكرة الارضية الى نصفها الاخر بدون بوصلة وبدون رادار •• عائدة الى أوكارها ؟

ومثلها الاسماك التي تهاجر عبر المحيطات والبحار لتضع بيضها •

لماذا لا نعترف ببساطة وبدون مكابرة ان هناك خالقا

•• وانه هو الذي هدى رحلة التطور من الخلية الى الانسان
•• وانه خلق كل شيء لحكمة وخلق الانسان لهدف !

لماذا لا نعود الى البداهة والفطرة السوية السليمة التي ترى الابداع في كل شيء من الذرة الى ورق الشجر الى جناح الفراش الى الشموس والمجرات في السماء •• فنصل الى النتيجة البسيطة •• ان مثل هذا الابداع ومثل هذا الخلق لا يمكن ان يكون سدى •• والانسان لا يمكن ان يخلق عبثا ليموت عبثا •• وانما للقصة بقية•• وللموت ما بعده •••

أم ان الجد الحمار قد خلف آثاره التي لا علاج لها في احفاده المفكرين الماديين الذين يقتتلون على الهباء ويدورون في الخواء •

قطار اللذة

منذ الف سنة كان اقصى ما يطمح فيه انسان ...
قطعة ارض وبضعة رؤوس من الماشية .. كان هذا هـو
الثري الإمثل في ذلك العصر .. وكان اقصى مـا يحلم
به ذلك الثري هي عربة مطهمة يجرها حصان ليدخل بهـا
مجتمع الوجهاء واهل الشياكة .

واليوم نقول عن من يملك العربة والحصان انـه
عربجي وهو في اعتبارنا من الناس الدون .

اما اهل الشياكة والوجاهة فقـد استبدلوا الارض
بالعمارات .. ثم استبدلوا العمارات بالشركات .. ثـم
استبدلوا الشركات بمجرد دفتر سندات أو دفتر شيكات
بحجم الجيب ... مجرد رأس مال يتوالد من تلقاء ذاته
بالاسهام في أي مشروع .

وانتهى اسطبل المواشي ليحل محله كراج عربـات
مرسيدس .

ثم انتهى امر الكراج وتركه الاغنياء للسوقة والناس الدون ... وصار الواحد منهم يمتلك طائرة خاصة أو مرسى لليخوت او باخرة .

وغدا تصبح الطائرات من املاك الفقراء ويظهر الاغنياء الوجهاء الذين يملكون الصواريخ والسفن الفضائية والاقمار الصناعية وتصبح رحلة الويك اند عشاء ساهرا في المريخ .

الزمن استدار وانتقل الناس من حال الى حال بسرعة غريبة واحلام زمان اصبحت الان متاحة للكل .

والفلفل والحبهان الذي كانت تحمله السفن من الهند عبر رأس الرجاء الصالح في رحلات مهلكة محفوفة بالاخطار ليوزن بالذهب ويوضع في الخزائن مع المجوهرات ولا يظهر الا على موائد اصحاب الملايين .. ومثله مناديل الحرير الهندي التي كنا نقرأ عنها في بيوت اللوردات في روايات زولا وبلزاك .

كل هذا نزل ليصبح في متناول السوقة .

والفلفل والحبهان الان عطارة الفقراء .

والحرير طرده النيلون والداكرون والتريلين من السوق فهبط الى نصف ليرة للمنديل واصبح زينة متاحة للخدم وعاملات المحلات . أي انسان من مستويات الدخل البسيطة يستطيع الان ان يحصل على كثير من وسائل الترف التي كانت تحلم بها جدتي وجدي ويسيل لها اللعاب .

ومع ذلك فالبؤس موجود والتعاسة ما زالت هـي القاعدة والشكوى مستمرة على جميع المستويـات ... تشهد بذلك اعمدة الصحف والاغاني والكتب واخبـار الاذاعات ووجوه الناس المربدة المتجهمة فـي الشـارع ومشاكساتهم الدائمة وصدورهم الضيقة بكل شيء .

لا شيء مما تصور الانسان انه سوف يسعده قـد أسعده وهو ما كاد يمتلك ما كان يحلم به حتى زهد فيـه وطلب غيره .. وهو دائما متطلع الى ما في أيدي الاخرين غافل تماما عما في يده .. ينسى زوجته ويرغب في زوجة جاره وزوجته احلى واجمل .. ولكنها الرغبة التي لا تشبع والتي يتجدد نهمها دائما وتتفتح شهيتها على كـل ممنوع ومجهول .

ولهذا أقام بوذا ديانته على قتل الرغبة والخلاص منها باعتبارها سبب الشقاء ولا خلاص من الشقاء الا بالخلاص من الرغبة وقتلها والوصول الى حالة من السكينة الداخلية الزاهدة في كل شيء العازفة عن جميع الرغبات .

والله يكشف لنا الحقيقة بشكل اعمق فـي القرآن فيقول انه خلق الدنيا ولها هذه الطبيعة والخاصية فهـي « متـاع » .

« انما هذه الحياة الدنيا متاع » .

و « المتاع » هو اللذة المستهلكة التي تنفد .. من

خصائص الدنيا كما ارادها خالقها ان جميع لذاتها مستهلكة تنفد وتموت لحظة ميلادها .

في كل لذة جرثومة فنائها ..

الملل والضجر والعادة ما تلبث ان تقتلها ..

هي الطبيعة التي ارادها الله للدنيا لانه ارادها دار انتقال لا دار قرار .. ولهذا جعل كل لذة بلا قرار ولا استقرار .. لانه لم يرد لهذه اللذات ان تكون لذات حقيقية وانما ارادها مجرد امتحان لمعادن النفوس .. مجرد اثــارة تختبر بها الشهامة والنبل والعفة وصدق الصادقين واخلاص المخلصين .

والذي يدرك هذا سوف يستريح تماما ويكف عــن هذه الهستيريا التي تخرجه من شهوة لتلقي به في شهــوة وتقوده من رغبة لتلقي به في اتون رغبة وتجره من جنون لترمي به في جنون .

سوف يريح ويستريح ويحاول ان يروض نفســـه ويستصفي روحه ويطهر قلبه ويعمل للعالم الاخر الذي وعد به الله جميع ابنائه بأنه سيكون العالم الذي تكون فيه اللذة حقيقية .. والالم حقيقيا .

وهو لن يندم على ما سوف يفوته من لذات هــذه الدنيا لانه علم تماما وبالتجربة والممارسة انها لذات خادعة تتفلت من الاصابع كالسراب .. وهو قد قرأ التاريخ وعرف

ان مال قارون لا يزيد الان بالحساب الحالي عن مائتين من الجنيهات بالعملة النحاسية .. هكذا قدرت جميع خزائنه بالاسترليني .. وما اكثر من يملك المائتي جنيه الان من سكان بيروت ويشكو الفقر ويلعن اليوم الذي ولد فيه .. مع انه بحساب التاريخ اغنى من قارون .

انها الخدعة الازلية ..

تحلم بامتلاك الارض فاذا بالارض هي التي تمتلكك وهي التي تكرسك لخدمتها ...

تتصور ان المال سوف يحررك من الحاجة فاذا بالمال يفتح لك ابواب مطالب اكثر وبالتالي يلقي بك في احتياج اكثر .. وكلما احرزت مليونا احتجت الى ثلاثة ملايين لحراسة هذا المليون وضمانه ...

وتدور الحلقة المفرغة ولا نهاية ..

وهذه طبيعة عالمنا الكذاب الذي نمتحن فيه .

كلنا نعلم هذا .. ومعذلك لا نتعلم ابدا .

راعي شرج الملك

من اطرف ما في كتاب الدكتور بول غاليونجي عن طب الفراعنة هذه الفقرة عن الطبيب «خوي» ••

وقد وجد اسمه مدونا على جدران معابد سقـارة وامامه هذه الالقاب : طبيب القصر الملكي ، عميد اطبـاء القصر الملكي •• المسيطر على سم العقرب •• المبجل لدى اله الطب •• المقرب لدى أنوبيس • كبير اطباء الوجهين البحري والقبلي •• راعي الشرج •

كان الطبيب خوي هو راعي شرج الملك تيتي وهذا يعني ان البواسير والناسور مشكلة قديمة قدم التاريـخ وانها كانت من امراض الملوك وانها كانت من الاهمية لدرجة ان يلقب كبار الاطباء بأن الواحد منهم راعـي شرج الملك •

لم أكن وحدي اذن الذي أصرخ من آلام البواسير فقبل ذلك بثلاثة الاف سنة كان هناك فرعون عظيم يصرخ مثلي من البواسير اسمه تيتي •

والسماء فوقي حمراء كنحاس منصهر .
والزبانية لا يرحمون .
والعذاب سوف يكون بطول الابد .
وفي الحلم نسيت تماما انها جراحة ..

وكان هذا بتأثير المورفين الذي صور لـي من الالم المؤقت دراما لا نهائية من العذاب .

وكانت أسعد مفاجأة ان يطلع علي الصبح ويتبخر ضباب المورفين واكتشف اني أتألم من جراح سوف تشفى.

وحمدت الاله الرحيم .

ما اجمل ان يهبنا الله الزمن الذي لا يدوم فيه شيء.

كل شيء يمضي ثم يصبح ذكرى .

أشد الآلام تتحول الى مقالة طريفة تروى واحاديث حول فنجان شاي .

أليست حياتنا معجزة .

وأليست معجزة اكبر ان تشفى وتلتئم جراح مفتوحة في مجرى الشرج تتلوث كل لحظة بما يلفظه الجسم مـن فضلات .. تشفى وتلتئم تلقائيا بدون بنسلين وبدون صبغة يود .. بالقدرة الالهية التي وضعها الخالق في الانسجة .

ومن عجب ان الله حشد كل جنده عند مدخل الجسم وعند مخرجه .. عند الفم والحلق واللوزتين تشفى الجراح المفتوحة وتلتئم وهي في مجرى اللعاب الملوث والانفـاس

والسماء فوقي حمراء كنحاس منصهر .

والزبانية لا يرحمون .

والعذاب سوف يكون بطول الابد .

وفي الحلم نسيت تماما انها جراحة ..

وكان هذا بتأثير المورفين الذي صور لـي من الالم المؤقت دراما لا نهائية من العذاب .

وكانت أسعد مفاجأة ان يطلع علي الصبح ويتبخر ضباب المورفين واكتشف اني أتألم من جراح سوف تشفى.

وحمدت الاله الرحيم .

ما اجمل ان يهبنا الله الزمن الذي لا يدوم فيه شيء.

كل شيء يمضي ثم يصبح ذكرى .

أشد الآلام تتحول الى مقالة طريفة تروى واحاديث حول فنجان شاي .

أليست حياتنا معجزة .

وأليست معجزة اكبر ان تشفى وتلتئم جراح مفتوحة في مجرى الشرج تتلوث كل لحظة بما يلفظه الجسم مـن فضلات .. تشفى وتلتئم تلقائيا بدون بنسلين وبدون صبغة يود .. بالقدرة الالهية التي وضعها الخالق في الانسجة .

ومن عجب ان الله حشد كل جنده عند مدخل الجسم وعند مخرجه .. عند الفم والحلق واللوزتين تشفى الجراح المفتوحة وتلتئم وهي في مجرى اللعاب الملوث والانفـاس

المحملة بالاتربة والجراثيم •• وتقطع اللوزتان فيلتئم مكانهما بلمسة ساحر •

وعند الشرج حيث تخرج الفضلات تموج بالميكروبات القتالة تلتئم الجراح المفتوحة بقدرة القادر الذي سلحنا بأمضى اسلحته •

ولعل هذا هو السبب في الآلام حول منطقة الشرج حيث وضع الخالق اقوى شبكة من الاعصاب ونشر قنوات وانهارا من الدم والليمف ورصد الملايين من الكرات البيض والخلايا الحارسة التي تلتهم كل ميكروب وافد فلا تبقى عليه •

وبعد هذا يشك شاك في العناية والرحمة •

ويقول مفكر سطحي مثل سارتر اننا قد القي بنا في العالم بدون عون وقذفنا الى الوجود لنترك بلا عناية وبلا رعاية •

ولو ان سارتر تعلم الطب كما تعلم الادب ودرس الانسان كما درس الوجود لعرف حقيقة نفسه ولقال كلاما آخـر •

ولهذا تخطر لي احيانا فكرة الحاق كلية الاداب بكلية الطب •• فالانسان والوجود حقيقة واحدة • ولا يمكن ادراك الواحد دون ادراك الآخر • وملامح الروح مكتوبة على الخلايا وليست في كتب ارسطو •

وشفرة العناية الالهية مكتوبة على اوراق الشجر وعلى مناقير الحمام وبتلات الورد ••

الدودة التي يجعلها الله خضراء بلون الغصن الاخضر ليجعلها أقدر على الاختفاء عن عدوها .. والفراشة الملونة بلون الوردة .. والسلحفاء الصفراء بلون الصحراء .

بشرة الزنجي التي تتلون في الشمس الاستوائية فتصبح سوداء كمظلة منصوبة عليه طول الوقت لتقيه لفح الشمس .

والبشرة البيضاء البللورية الشفافة لاهل الشمال حيث تختفي الشمس طول الوقت خلف الضباب وحيث يشح الضوء لدرجة تجعل الجسد في حاجة الى امتصاصه عن أي طريق مثل تلك البشرة الشفافة الزجاجية .

أجسام الحيتان التي صاغتها العناية تلك الصياغات الانسيابية كغواصات .. وكل سمكة وقد منحتها الطبيعة كيسا يفرغ ويمتلىء بالهواء لتطفو وتغوص كما تريد .

أفواه الحشرات وقد شكلتها العناية على الف صورة وصورة حسب وظائفها .. الحشرة التي تمتص كالذبابة تشكل فمها على صورة خرطوم . والحشرة التي تلدغ كالبعوضة تشكل فمها على صورة ابرة . والحشرة التي تقرض كالصرصور زودتها الطبيعة بمناشير ومبارد ..

والدودة التي تتطفل على الامعاء زودتها الطبيعة بخطاطيف وكلابات حتى لا تقع في تجويف الامعاء وتجرفها الفضلات .

وكلما تكاثر الاعداء على مخلوق اكثر الخالق مـن نسله فدودة الاسكارس تبيض اكثر من مليون بيضة فـي الشهر وتنجب اكثر من مليون دودة ٠

وفي متاهات الصحارى حيث يشح الماء وتندر العيون خلق الله للاشجار بذورا مجنحة لتطير مع الرياح في الجهات الاربع وتحط في الف شبر وشبر من الارض وترحـل مسافات شاسعة وكأنها بعثات استكشاف تذرع الصحارى٠

والخفاش الاعمى والذي لا يطير الا في الليل زودته الطبيعة بأمواج الرادار يستكشف بها طريقه ٠

والكتكوت الوليد ترشده الغريزة الى أضعف مكان في البيضة فينقرها ليخرج الى الوجود ٠

والزنبور يعرف مكان المراكز العصبية عند فريسته فيحقنها بالسم ويشلها وكأنه جراح ماهر درس التشريح ٠

والنمل الذي قادته فطرته الى اكتشاف الزراعـة وتخزين المحصولات قبل ان يكتشفها الانسـان بملايين السنين ٠

وحشرة الترميت التي عرفت تكييف الهواء في بيوتها قبل ان يعرف الانسان الابواب والشبابيك ٠

ان كل خطوة تخطوها في الطبيعة حولك تجـد فيها أثر الرحمة والعناية والرعاية ٠

لم يقذف بنـا الى الدنيا لنعاني بلا معين كما يقول سارتر ٠

ان كل ذرة في الكون تشير بأصبعها الى رحمة الرحيم •

حتى الالم لم يخلقه الله لنا عبثا •• وانما هو مؤشر وبوصلة تشير الى مكان الداء وتلفت النظر اليه •

ألم الجسد يضع يدك على موضع المرض ••
وألم النفس يدفعك الى البحث في نفسك •

وألم الروح يلهمك ويفتح آفاقك الى ادراك شامل فالدنيا ليست كل شيء ولا يمكن ان تكون كل شيء وفيها كل هذه الآلام والمظالم • وانما لا بد وان يكون وراءها عالم آخر سماوي ترد فيه الحقوق الى اصحابها ويجد كل ظالم عقابه •

وبالالم ومغالبته والصبر عليه ومجاهدته تنمو الشخصية وتزداد الارادة صلابة واصرارا ويصبح الانسان شيئا آخر غير الحيوان وغير النبات •

ما أكثر ما تعلمت على سرير المستشفى •
وشكرا لأيام المرض وآلامه •

السم والترياق

لكل شيء آفة من جنسه
حتى الحديد سطا عليه المبرد
الله خلق لكل شيء آفته التي تعتدي عليه ...
خلق القطن وخلق دودة القطن
خلق النبات وخلق الجراد
خلق الاسنان وخلق السوس
خلق العين وخلق الرمد
خلق الانف وخلق الزكام
خلق الثمرة وخلق العفن

خلق الانسان وخلق معه جيشا من الاعداء لاغتياله من قمل وبق وبراغيث وبعوض وديدان وبلهارسيا وميكروبات وسل وجذام وتيفود وتيفوس وكوليرا وقراع وصديد .

وخلق الحياة وخلق الحر والبرد والصقيع ورياح السموم .

لم يرد بالدنيا ان تكون دار سلام ••• وانما دار حرب وصراع وبلاء وشد وجذب وكر وفر •

لانه علم بحكمته ان حياتنا الدنيوية اذا اخلدت الى الراحة والامن والدعة والسلام ترهلت وتخنثت وضعفت وانقرضت •

وعالم الفسيولوجيا يقول لك ان سم الميكروب يحفز النسيج الى الاحتشاد ••• كما تدفع لسعة البرد الدم الى الشرايين •

ان العدوان المستمر الذي جعلته الطبيعة شريعتها في الارض اراده الله لمخلوقاته تحديا مستمرا ••• ليشحذ كل مخلوق وسائله ويبدع ويبتكر ويحتشد ويخرج احسن ما يختزن من طاقات ويكون دائما على اكمل الصور الممكنة •

وبدون هذا التناقض والصراع والجلاد كان مصير الحياة الى ضمور وتخاذل وتكاسل ثم انقراض تدريجي •••

وهذا ما نشاهده في الافراد والامم حينما تخلد الى الراحة والترف ويطول بها حبل الامن والسلام والدعة •

وكما خلق لنا الله المرض خلق لنا الدواء في عشب ينمو تحت اقدامنا ••• وفي شراب في الينابيع التي تتفجر حولنا في كل مكان ••• وفي العناصر الكثيرة تحت الارض وفوقها ••• وأمدنا بالعقل الذي يبحث وينقب •

وللحكمة ذاتها القى الله وسط الدول العربية المتخاذلة المترهلة بعدو شرس هو اسرائيل ... ومكن لهذا الجسم الغريب ليكون حافزا الى اليقظة والاحتشاد .

اسرائيل هي الميكروب .

هي التحدي القائم في الجسم العربي ليثبت حيويته ويشحذ طاقاته ويهب من نومه الطويل وينتفض من تخلفه .

وبرغم كل ظواهر اليأس فأنا متفائل شديد الثقة بالمستقبل .

فالسنن الكونية والقوانين الالهية تعمل عملها في الكيان العربي .

وما نعيش فيه من كارثة أراها على العكس مظهرا من مظاهر القانون الازلي لتصحيح الاشياء ... فبهذا التحدي المستمر وبهذا الخنجر المسموم المغروس في أحشائنا سوف نحتشد في جسم موحد طال بنا الزمن أو قصر ... لنواجه محنة ان نكون او لا نكون ... وما نعيش فيه الآن هي أيام الحمى التي تسبق الشفاء .

ان خلافاتنا الداخليـة وانقساماتنا الداخليـة اشبه بالصديد الذي يتخلف في الجراح من جراء التهاب النسيج بالسم الميكروبي والاجسام المضادة التي يفرزها ...

وهي مرحلة يليها تدفق الدم من النسيج المحتقن ليغسل كل شيء ثم يعقب ذلك الالتئام والشفاء .

وهي اشياء تتعلمها مما يجري على النسيج الحي حين يعدو عليه الأعداء .

وهي قوانين ازلية وضعها الله للخلية والجسم الحي والامة والامبراطورية ... ولا يستطيع ان يشذ عنها مخلوق .

ان الذي يجعل من واقعنا الحالي سببا لليأس لا يفهم الدنيا ولا يفهم التاريخ .

لقد تقاتلت الامة الاميركية قبل ان تتوحد في حرب شرسة بين شمالها وجنوبها ... وكذلك الصين ... فلم يقل أحد انها انتهت او انها كتبت وثيقة فنائها ... بل العكس هو ما حدث ... فقد كتبت بهذا الدم ميلادها ...

وفي الحساب الازلي للارباح والخسائر ... وفي سجل التاريخ ... لا تضيع نقطة دم واحدة ... ولا تهدر ضحية ... وانما لكل شيء دوره في صياغة النصر النهائي .

والنصر دائما للحق والخير .

الرد على التساؤلات

تصلني احيانا من القراء تعليقات جـادة وتساؤلات حول مقالاتي الاخيرة ••• والبعض يلتقط عبارات من كتب قديمة صدرت لي منذ عشرين عاما محاولا ان يشهد الناس ••• كيف كنت ملحدا ثم اصبحت مؤمنا ••• يا له مـن تناقض وجريمة لا تغتفر لمفكر •••

ويبدو ان المفكر الامثل عندهم هو قطعة رخام لا تنتقل من مكانها او مستنقع آسن لا يتجدد ماؤه او حياة خاملة راكدة آلية لا تتطور •••

ويتصور الواحد منهم الفضيلة والذمة في ان يكتشف الكاتب خطأه فلا يصححه ولا يرجع عنه •

ويتصور الكمال في العجرفة الفكرية والجمود والتعصب والثبات ولو على الخطأ (طالما ان هذا الخطأ في صالحهم)•

ولو كنت مؤمنا تحولـت الـى الالحـاد لاخذوني بالاحضان ولقالوا هذا هو المفكر الشريف بحق ••• هذا هو رائد النقد الذاتي •

ولكن لما كان نقدنا لذواتنا على غير هواهم اصابهم

عمى الالوان فرأوا الابيض اسود ورأوا الفضيلة رذيلة والذمة خيانة •

ولقد حارب خالد بن الوليد ضد الاسلام بشراسة وانزل الهزيمة بالمسلمين في أحد ••• ثم آمن وحمل لواء الدعوة واصبح سيف الله المسلول فلم يقل احد انه رجل متناقض بلا مبدأ •

وحارب عمر بن الخطاب الدعوة الاسلامية في بدايتها بضراوة ثم اعتنق نفس الدين الذي سبه وسفهه وحاربه••• فلم يشكك احد في ايمانه ولا في صدقه ولا في ذمته •

والانسان في شبابه مندفع بطبيعته يؤمن بالساذج البسيط الواضح الملموس امامه ولهذا فهو يستريح الى المادية والفكر المادي لانها لا تطالبه بشيء غير الموجود امامه فهي تبدأ من القريب المحسوس ولا تتجاوزه ولا تجهد الذهن استخلاصا المحكمة من ورائه ••• بل انها لا تعتقد في وجود حكمه ••• لا شيء سوى المادة التي تتطور تلقائيا بقوانينها الجدلية الخاصة •

والمفكر المادي لا يحاول حتى ان يسأل نفسه من الذي وضع في المادة قوانينها الجدلية هذه •

وهو يرفض الدين لانه غيبيات •

وهو نفسه غارق في الغيبيات الى اذنيه

بل ان العلم نفسه الذي يتشدق به ويحتكم اليه غرق في الغيبيات هو الاخر •

العلم يتكلم عن الالكترون على انه حقيقة ••• ولم ير احد الالكترون ••• ولا نعلم عن الالكترون الا آثاره ••• اما الالكترون ذاته فهو غيب •

وبالمثل الموجه اللاسلكية لا نعلم عنها الا آثارها في عمود الارسال وجهاز الاستقبال ••• لم ير احد تلك الموجة الاثيرية ولم يعرف احد كنهها •

بل الكهرباء ذاتها هي الاخرى طاقة لا شك فيها ومع ذلك فهي مجهولة الهوية تماما ••• ولا نعرف عنها الا مجموعة آثارها الظاهرة من حرارة الى ضوء الى حركة مغنطيسية •

فاذا قلنا لهم ان الله بالمثل عرفناه بآثاره وان هويته غيب لم يعجبهم كلامنا •

بل ان المفكر المادي يقول في جرأة عجيبة ••• « في البدء كانت المادة ثم تطورت المادة الى كافة صور الحياة والفكر » وكأنه كان موجودا لحظة بداية الخلق متربعا في كرسي بلكون يتفرج على ميلاد الدنيا •

هو يتكلم عن غيب ويبدأ من غيب ••• ولا يملك الا افتراضات واحتمالات ونظريات•• ثم يتهمنا نحن بالغيبية•

وهؤلاء هم دراويش المادية لا وسيلة لاقناعهم لانهم لا يريدون اقتناعا ••• وانما هم اختاروا الجمود العقائدي وتشنجوا عليه واستراحوا الى ما فيه من تبسيط مخل وتلخيص ساذج للحقائق الكونية •••

وليس ابعث للراحة من اعتقاد الانسان انه لا مسؤولية هناك ولا بعث ولا حساب وان له ان يفعل ما يشاء لا رقيب عليه ولا حسيب سوى البوليس والمخابرات •

ومثل هذه العقيدة المادية اقرب الى قلب الشباب المندفع الذي يريد ان ينطلق على هواه بلا علامات مرور وبلا ضوابط وبلا مساءلة •

وليس صحيحا ان الفكر المادي هو الذي اعطانا حياتنا المتقدمة بما فيها من قطارات وعربات وطائرات وصواريخ وراديو وتلفزيون ••• فهذه الاشياء هي عطاء العلم ••• والعلم تراث متاح للكل ••• ولا مذهب له ••• يطلبه رجل الدين كما يطلبه رجل الفكر من يمين ويسار •

كان العلم يرفع راياته في مصر الفرعونية الوثنية كما كان يرفع راياته في صدر الاسلام •

العلم تراث بشري لا يستطيع ان يدعي أحد ملكيته وليس صحيحا ان الدين يناقض العلم •

وديننا يأمر بالعلم في أول آية من القرآن «اقرأ» •

امر صريح بالعلم والتعلم في أول حرف نزلت به تعاليمنا السماوية •

والعلماء عندنا هم ورثة الانبياء وهم في القرآن في درجة الملائكة « شهد الله انه لا اله الا هو والملائكة واولو العلم » • والذي يتصور تناقضا بين الدين والعلم لا يعرف ما الدين ولا ما العلم ••• وانما هو يريد ان يختلق لنفسه مبررا للرفض • وما اسهل الرفض •

انذار

اربطوا الاحزمة على المقاعد

هذه العبارة التي تظهر بالنور الاحمر في كل طائرة كلما بدأت في الهبوط او الارتفاع منذرة بأن تغييرا خطيرا يقع .. اشعر الان بأن مثل هذه العبارة تظهر في عربة الحضارة التي نركبها جميعا نحن الجنس البشري في هذا الزمان منذرة بالهبوط الى مرحلة اسفل ..

اسمع هذا النذير .. بأننا يجب ان نربط الاحزمة على المقاعد .. ليس لاننا نرتفع .. وانما لاننا نهبط . ونهبط .. ونتدهور ..

المذابح في فيتنام .. القتل الجماعي في نيجيريا .. احراق اللاجئين في الاردن .. تفجير القنابل الهيدروجينية تحت الارض وتحت البحر .. واطلاق صواريخ مدارية تحمل الموت في أحزمة حول الارض ..

في الشرق والغرب يخرج الوحش البشري مخالبه

ويلوح بأنيابه .. لم يعد يستحي ولم يعد يخجل .. لم يعد يلجأ الى اسلوب الدبيلوماسي المهذب الذي يتكلم باسم الحرية والديمقراطية وتحرير الشعوب من الاستغلال والاستعباد .. لم يعد يرفع راية السلام ويردد الشعارات النظرية البراقة ويسوق المنطق الفلسفي المحكم .. وانما تكشف النقاب فجأة عن حقيقته .. فاذا بنا امام دول كبرى تريد ان تسود .. وقوى تتصارع على السلطة لا غير ..

المعسكر الشيوعي خرج منه عملاقان يبادلان بعضهما العداوة اكثر مما يبادلان عدوهما المشترك الرأسمالية .. مناقضين بذلك منطوق الشيوعية ذاتها وكأنه مجرد حبر على ورق .. لم يعد التاريخ يحركه صراع الطبقات فها هنا عسكران هائلان .. بروليتاريا .. وبروليتاريا وكلاهما يتصارعان ..

والرأسمالية بدورها بدأت تمارس علنا ابشع جريمة في التاريخ على أرض فيتنام .

والاساطيل راحت تذرع البحار تستعرض عضلاتها .

والطائرات انطلقت تزمجر في الجو وتتنافس في بث الرعب .

والاقمار الصناعية راحت تتسابق في التجسس .

والصواريخ .. كل صاروخ يقول للاخر .. أنا اطول منك مدى .

القوة .. القوة .. القوة ..

الحضارة المادية انتهت الى تسخير العلم لصناعة القوة •• لابتكار وسائل الموت •• المجاعة ونقص التغذية والفاقة تفترس قارات •، والملايين والبلايين ترصد للسلاح •• وفائض القمح يلقي في البحر ليرتفع سعره •

لقد افلست الحضارة المادية ••

وأني اعلن افلاسها •• وأشعر بأن عربة الحضارة تهبط بنا الى اسفل واسفل واسفل ••

وان علينا ان نربط الاحزمة على المقاعد استعدادا للخطر الماحق ••

وعلينا ان نواجه انفسنا بالحقيقة ونكف عن ترويج الاكاذيب ونكف عن التشدق بحريات لا وجود لها ••

فقد عادت عصور المرتزقة والانكشارية ••

وهناك الوف يقبضون مرتباتهم لانهم يقتلون تحت أي راية •

والجاسوسية تحولت الى فن •• « كيف تكون جاسوسا مزدوجا » تتجسس لامتك وضدها وتعمل بذمتين ولحساب من يدفع اكثر ••

والمذاهب تحولت الى ذرائع للسلطة وللاستهلاك الصحفي وتبرير تحكم الاقوياء في الضعفاء وظلم الاقوياء للضعفاء واستبداد الاقوياء بالضعفاء ••

وهذا اعلان افلاس حقيقي ••

لقد عجزت الفلسفة المادية ان تصنع انسانا وان كانت قد صنعت قنبلة ونحن ماضون الى سقوط محقق ان لم نبادر الى تغيير دفة المركبة الحضارية كلها في اتجاه آخر . هذه المرة ليس نحو فلسفة مادية .. ولكن نحو فلسفة تعترف للانسان بروح وذات خلقها الله حرة جديرة بالخلود .

العودة الى فلسفة روحية تأخذ من العلم كل ما يعطيه وتضيف عليه من خصبها .

ومن أين تخرج مثل هذه الفلسفة الا من الشرق !!

فهل يعود الالهام فينبع مرة اخرى .. وهل تشرق شمس جديدة .. ام اننا نهبط الى هوة النهاية ؟.

فهرست